

في حوار مع
عماني
شكر الله



إذا الشمس غرقت
في بحر الغمام
ومدت على الدنيا موجة ظلام
ومات البصر
في العيون والبصائر
وغاب الطريق
في الخطوط والدوائر
يا ساير يا داير
يا ابو المفهومية
مفيش لك دليل
غير عيون الكلام

أحمد فؤاد نجم، عيون الكلام
سجن طرة، ١٩٧٠

في حوار مع هاني شكرالله

كان هاني شكرالله (١٣ يونيو ١٩٥٠ - ٥ مايو ٢٠١٩) مفكرًا سياسيًا وكاتبًا بارعًا، يؤمن بأن الخيال الثوري هو جوهر التجارب السياسية. ينتمي شكرالله إلى الحركة الطلابية الشيوعية المصرية التي عرفت باسم «جيل السبعينيات». شكلت هذه الحركة بتجاربها وانتصاراتها ومحنها جزءًا كبيرًا من وعيه السياسي الذي أملى عليه إنتاجه الفكري. مكّنه هذا الإنتاج بالتبعية من أن يكون أبا روحياً للكثيرين من الصحفيين والنشطاء المنتمين للأجيال الأصغر.

في ٢٧ نوفمبر ٢٠١٨ قمنا بتسجيل حوار مدته أربع ساعات مع هاني في منزل العائلة في المهندسين، حيث قضى القسط الأكبر من حياته. أثناء الحوار، أخذنا هاني في رحلة من الضحك والذكريات والتحليلات، فحكى لنا عن عمله الحزبي والصحفي وعلاقته بالسياسة منذ أول مظاهرة شارك فيها في الستينيات حتى لحظة التسجيل.

«في حوار مع هاني شكرالله» يتضمن نص التسجيل الكامل مع بعض المقتطفات من مراثي كُتبت عنه بعد وفاته، بالإضافة إلى حلقة صوتية تم تحريرها من مادة التسجيل الأصلي. تم تحرير نص المقابلة لتسهيل عملية القراءة، مع الاحتفاظ بسياق وشعور الحديث.

تم نشر أجزاء من حديثنا مع هاني لأول مرة ضمن حلقات بودكاست «مش مسموع»، المشروع الذي تمت المقابلة في إطاره. توفي هاني قبل أن يتمكن من الاستماع إلى البودكاست أو مراجعة النص.

لو قعدت استطردت زيادة عن اللزوم أو فتحت قوس مقفلتنوش،
متتكسفوش إنكم تقولولي:
خش في الموضوع، دين أهلك!
كده يعني.

طيب احنا في العادي بنبدأ بالنقط المهمة في حياتك السياسية...

أول مظاهرة طلعتها في حياتي كانت سنة ٦٤. كنت لسه ما تمتش ١٤ سنة. كنت في أولى ثانوي في مدرسة النقراشي النموذجية اللي هي كانت جنب مبنى المخابرات كده، مش فاكرك، في حدائق القبة حاجة كده. أنا قبلها كنت في آمون الخاصة وبعدين كان أيامها في قناعة إن اللي عايز أولاده يعملوا كويس في الثانوية العامة ويخشوا جامعة عدله ما يقعدوش في مدارس خاصة، يروحوا مدارس حكومية. المفروض إن المدارس الحكومية كانت أيامها أفضل من المدارس الخاصة.

بس يا ستي، فكنت في النقراشي النموذجية، وإذا في يوم يجي جمال عبد الناصر يعمل خطاب يقول إنه مش هيترشح، مش هيعيد ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية، فطلعنا في مظاهرات عارمة. أنا فاكرك الهتافات: "ناصر ناصر ولا بديل لعبد الناصر" و"عبد الناصر يا حبيب الخطوة الجاية في تل أبيب". قعدنا ٣ أيام نطلع، أظن في اليوم الثالث الناظر قالك خلاص كفاية بقي. فوقف الأساتذة والمدرسين كلهم بالعصيان على البوابة الخارجية للمدرسة علشان يمنعونا من الخروج، فابتدينا نهتف: "يسقط الناظر عميل الإستعمار". الراحل تلاقيه كان مرعوب. بس فدي يعني خلفية بس على سبيل الطرف.

لكن أنا نشأت في بيت كان بيحب عبد الناصر، كُنا مقتنعين احنا بالذات، الجيل الصغير. أبويا كان skeptical [مُتشكك] بس كان مش بيصرح بده. هو كان يشتغل في الجامعة العربية وبالنسبة له القضية الكبرى هي قضية فلسطين، فالبيت كله نشأ بيحب عبد الناصر. وكان دايمًا يتريق على قرايبنا اللي يقولوا عبد الناصر أممنا ومش عارف ايه، ويقولك دول شحاتين أصلًا كانوا ولا عندهم حاجة تتأمر ولا بتاع، حاجات بالشكل ده.

بعد كده بنسافر كندا. أبويا بيبقى ماسك مكتب الجامعة العربية في أوتاوا في كندا، وبعدين بيمسك كمان نيويورك. الكلام ده بنتكلم على ٦٥ لـ ٧٠، آواخر الستينات. حرب فيتنام شغالة، ٦٨ تشي جيفارا بيتقتل في بوليفيا، كوبا في عزها، وطبعًا الحاجة الفاصلة هزيمة ٦٧. أنا فاكرك اليوم ده كويس جدًا لأن كُنا متجمعين في بيت السفير المصري نسمع خطبة عبد الناصر بتاعت الإستقالة. لغاية ساعتها كُنا مش مصدقين إن احنا اتهزمن، مش مصدقين. نبص على التلفزيون الكندي نشوف العساكر الإسرائيليين بيعوموا في قناة السويس. أبويا طبعًا علطول من ثاني يوم قالك احنا اتهزمن، لكن أنا فاكرك أنا وعلاء أخويا كُنا نقول له لأ ده كله تمثيل، واحنا قاعدين بنسمع صوت العرب بقي اللي بيقولك نزلنا ٧٠ طائرة وحاجات بالشكل ده. اللي هي حاجات خرافية ما بتحصلش حتى في الحروب العالمية يعني. مفيش حد بينزل ٧٠ طائرة في يوم.

احنا في كندا طبعًا زي ما بقولك الجو المحيط بيكي كله بيتجه يسارًا؛ حركة الهيبيز والحركة المعادية لفيتنام. انتِ قدام تحدي طول الوقت ان انتِ بتدافعي عن قضية فلسطين، ومُحاطة بجو معتبر إن العرب دول anti-Semitic ومعادين لليهود وولاد كلب وعازيزين يرموا إسرائيل في البحر ومش عارف ايه، وطبعًا معاي زميلك فيهم يهود، وكلهم صهاينة تقريبًا يعني، بالسليقة كده. فابتدينا نتجه يسارًا، يعني يبقى الخطاب اه لسه بنحب عبد الناصر ومؤمنين بالتجربة الناصرية لكن بنشوفها من على شمالها شوية.

أنا فاكّر بقى بشكل كأنه حصل امبارح يعني — في حاجات كده في حياتك تلاقيها الذاكرة متروخش فيها خالص. تبقي ناسية انتِ اتغديتي ايه امبارح بس تبقي فاكدة دي. حاجة حصلت من ٧٠ سنة مثلاً، ولا لأ مش ٧٠، أنا موصلتش للسبعين لسه، بس يعني نحو. كنت في grade 10، اللي هي تقريبًا أولى ثانوي حاجة كده. ولا 11؟ لأ لأن أنا أول سنة التزمت فيها الصمت لأنه مكتّاش في مدارس أجنبية ومكتّاش بناخد انجليزي كمادة. وأنا كنت شخصية خجولة خالص، وعلاء كان حمار زي في الانجليزي بس ايه من أول يوم وهو قاعد بيتكلم. هالة كانت في مدرسة انجليزي فمكتّاش عندها مشكلة، وكانت الصغيرة خالص، كان عندها ١١ سنة. فأنا قعدت سنة تقريبًا مبتكلمش وبذاكر بالقاموس، قاموس عربي انجليزي حطه جنبي وبذاكر منه. المهم من تاني سنة بقى خلاص كانت جت اللغة. وأنا طبعًا دلوقتي بعتر إن أنا الإنجليزي بتاعي احسن من الإنجليزي بتاع الأمريكان نفسهم، يعني أظن أحسن من كثير منهم يعني بس ده موضوع تاني.

كان عندي أستاذ تاريخ اسمه تِد بوزيلوف، بلغاري. فهو شايفني قاعد عمال أتكلم على الإمبريالية ومش عارف ايه ويتاع ففي درس من الدروس راح قالي: "I have a book for you" اداني الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية بتاع لينين وكان الكتاب عندي لغاية من سنتين ثلاثة، معرفش راح فين. نفس الكتاب، نفس النسخة يعني. بعد كده بنتصاحب خالص ويتضح إن هو كان ماركسي بس هرب من الستالينية واتعذب واتبهدل بهدلة جامدة على بال ما قدر يوصل لكندا. فأنا قرأت البتاع -وطبعًا أكيد يعني مفهمتش ثلاث تربعه- بس أنا خلّصت الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية وأعتبرت نفسي خلاص ماركسي، أعلنت كده نفسي ماركسي.

في جانب آخر مش ضروري نخش فيه، بس من بدري قوي العلاقة بالدين كانت ابتدت تبقى فيها ... وده من غير العلاقة بالسياسة. كانت أمي بالذات هي الأكثر تدينًا في العائلة، أبويا كان فاجر فاجر، فكانوا يبيعوتونا مدارس الأحد. أنا أصلًا من عائلة مسيحية. وده كان قبل ما نسافر كندا. فيعني هي

في فترة "ناصر ناصر ولا بديل لعبد الناصر" برود بنروح النقراشي النموذجية وبنروح مدارس الأحد. فالمهم الأستاذ بتاعنا في مدارس الأحد قال لنا المسيحي الحقيقي لازم يقرأ إصحاح من الإنجيل كل ليلة. انت عارفة الإنجيل فيه العهد القديم والعهد الجديد. العهد القديم اللي هو كله أساطير ولاد عمنا اليهود. أنا كنت أصلاً أعبد القراءة لاني كمان شخصية انطوائية جدّا، فمن وأنا صغير خالص كنت بقرأ بنهم شديد، وكنت بعبي كثير لأن كنت عندي ربو حاد فبقضي أيام كثيرة جدّا في البيت، فخذت الموضوع جد. كل ما أقرأ كل ما أقول ايه الكلام الكاكا ده. معلش يعني إذا في أي مشاعر دينية. لاني ابتديت كمان بالعهد القديم، والعهد القديم كارثة. كله قصص مرعبة، بما فيها مثلاً القصة بتاعت عيد الأضحى. قصة الراحل اللي كان هيدبح ابنه اللي هو المفروض جدنا الكبير -جدنا احنا واليهود يعني- عمنا إبراهيم. أب هيدبح ابنه عشان ربنا قال له؟ أنا بالنسبالي كانت ايه الإله اللي هيقول للواحد ادبح ابنك، والراحل عشان يثبت طاعته لربنا ياخذ الواد ويبقى خلاص هيدبحه لغاية ما ينزل ملاك بخروف؟

طبعا على بال ما وصلت لموسى بالضربات العشر اللي نزلها ربنا على المصريين -وأنا بقى نشأ قومي مصري- اللي هي ضربات كمان مش منطقية يعني. أحدها إنه ربنا حول النيل لدم فمحدث يقدر يشرب. دي genocide [تصفية عرقية] يعني، ده كان المفروض إبادة الشعب المصري. وبعدين ينزل عليهم جراد، الناس بتعيش فيقتل الابن البكر لكل العائلات لغاية ما يفتح لهم البحر الأحمر ويعدوا منه. فابدأ الموضوع يان لأ العهد القديم كذا، بس تقرأي العهد الجديد تلاقي كله إشارات للعهد القديم.

المهم كان عندنا مدرس علوم في آمون الخاصة واحنا في إعدادي، وكُنّا بنحبه جدّا. وجه في مرة -معرفش أصلاً كانت في المقرر ولا لأ- إدانا نظرية داروين. غالباً وأنا في تانية إعدادي، غالباً عندي ١٢ سنة. ودي برود من اللحظات اللي أنا فاكرها بشكل يعني، فاكرك حتى الفصل شكله ايه ساعتها وأنا قاعد فين وحاجات بالشكل ده. وقلبي بينبض بشكل رهيب لأن اللي يقول شكله منطقي، شكله صحيح، ولكن بيضرب لك كل القصص اللي انت اتربيته عليها في مقتل. المهم بقى العيال بعد ما خلّص -أنا متكلمتش خالص، كنت قاعد تقريباً بترعش- فالعيال بتسأله طيب وربنا وآدم وحواء ومش عارف ايه، قال لهم: "بصوا، أنا مدرس علوم مش فقي ولا قسيس. في الحاجات دي تروحوا تسألوا فيها المشايخ أو القسس بتاعتكم متسألونيش أنا فيها. أنا بدرسكم علم." وهي إجابة عبقرية الحقيقة يعني. ففي التأثيرات دي.

٦٧ تبقى اللحظة الفاصلة، اللي هي لكل جيلنا الحقيقة. أنا معتبر نفسي ماركسي. ٦٧ بتخليني أتمرد على جمال عبد الناصر وأخش بقى في الموضوع جد. ابتدي أقرأ بشكل رهيب، ننشط في حركات. و ٦٨ بتيجي معركة الكرامة، واللي هي انطلاقة ما أطلق عليه وقتها الثورة الفلسطينية، الكفاح المسلح الفلسطيني، الأول من الأردن وبعدين طبعًا جرش وعجلون، المذبحة اللي تمت في الأردن. فدي اللوحة يعني.

فننشط في حركة التضامن، وأهم حاجة كانت حركة التضامن مع الثورة الفلسطينية، أيامها بالنسبة لنا واحنا في كندا. بنيجي أظن في ٦٨، أوائل ٦٩ مش فاكروا، نعمل مؤتمر بالتعاون مع منظمات ماركسية كندية في مونتريال. مؤتمر كبير خالص للتضامن مع الثورة الفلسطينية. يبقى أنا أحد المنظمين بتوع المؤتمر وبنجيب اليسار بتاع كل أمريكا الشمالية. فأنا اقترحت عليهم لازم نجيب الفهود السود. كانت أيامها كمان بقى حركة السود، ستوكلي كارمايكل وأنجيلا ديفيز وبتاع، ناس كانت بالنسبة لنا يعني... أبطالنا. ومالكوم إكس طبعًا. الأسماء دي بالنسبة لكم زي ما احنا نتكلم مثلاً عن أيام لينين، بس دول عاصرناهم يعني. ممكن أحكي لكم على أنجيلا ديفيز بالذات لأن أنا فطرت مع أنجيلا ديفيز في يوم من الأيام.

فالمهم أنا كنت مجنون أيامها، ضارب ضارب يعني، وكان أبويا ماسك مكتب نيويورك بالإضافة لأتوا بس هو مقيم في نيويورك. قلت لهم لازم نعزم حد من الفهود السود، محدش له علاقات مع الفهود السود؟ فرحت على أبويا على نيويورك: "يا اخونا في حد يعرف حد من الفهود السود؟" لأ. فقامت راكب المترو ورايح على هارلم، قلت مش هغلط، أنزل هارلم هلاقيهم. ومشيت في هارلم اللي هي كانت مُعتبرة منطقة مُحَرمة، إن انتِ تنزليها ده معناها جنون. نزلت هارلم وماشي في الشارع اسأل الناس في الشارع. فين مكتب الـ Black Panthers؟ فدلوني في الآخر وروحت على المكتب دخلت وقلت لهم احنا عاملين كذا وعايزين حد ييجي، ففعلًا بعثوا لنا حد في المؤتمر.

حاجة تانية فكاكية، كان في مغنية لبنانية ولا سورية مشهورة قوي ويحبوها قوي. انتِ عارفة كندا كانت مليانة لبنانيين وشوام، هجرات قديمة خالص من بداية القرن العشرين. فالمهم احنا شوية من العرب نظمنا حفلة للمغنية دي المفروض عاندها هيروح لفتح ومنظمات الثورة الفلسطينية، وأنا وعلاء اشتغلنا جارسونات علشان انتِ عايزة توفري كل الفلوس. والويسكي أبويا اداهولنا -طبعًا متهرب- لأن هو كان دبلوماسي فبيشتري الخمرة من غير ضريبة فبالتالي رخيصة جدًا. دي كانت من أبشع الحاجات اللي أنا عملتها اضطرارًا لإني كنت بنسى الطلبات، وكلهم بقى مش جايين عشان الثورة

الفلسطينية، هم جايين عشان المغنية أساسًا.

فالمهم على بال ما بنرجع مصر في سنة ٧٠ يبقى خلاص معتبر نفسي ماركسي راديكالي. برفض الخط السوفيتي وبرفض الخط الصيني، اللي هم كانوا البديلين المطروحين أيامها على المستوى العالمي. فباجي وأنا بدور على ناس زي. بخش كلية إقتصاد وعلوم سياسية وبيطلع إن فيه ناس زي فعلاً. بتعرف على أحمد عبدالله وعلى محمد سيد سعيد وطه عبدالعليم اللي كان ماركسي على فكرة. يجي يوم زين العابدين -كان في كلية آداب، واتعرف عليه في الندوات والبتاع- يقولي ما تيجي نتمشى، ونتمشى في جينة الحرم. قال لي إن في تنظيم كذا كذا سري الخ، اللي هو فيما بعد بيبقى اسمه التنظيم الشيوعي المصري — ت.ش.م. بعد كده بقى اسمه حزب العمال على ٧٥. هو كان التنظيم الأكثر راديكالية في الحركة الماركسية المصرية يعني، وهو أول تنظيم لإن هو اتأسس في ٦٩، ديسمبر ٦٩، الباقي بيجي بعد كده^١. ده بيكون جوهر حياتي، العمل الحزبي والفكري.

الحاجة المضحكة شوية إن أنا دخلت في الصحافة بالصدفة. أول شغلانة جاتلي بعد ما اتخرجت كانت في الغرفة التجارية العربية البريطانية. كُنا لسه برا واتعملي تصريح عمل وإقامة وكنت في الجزء الإعلامي من الغرفة. حتى دايمًا كده اعاير أصحابي هزار وأقول لهم أنا لو كنت كملت في الغرفة التجارية العربية البريطانية كان زماي دلوقتي قاعد في بارك لين وعندي العربية المفضلة بتاعتي: جاغوار. ودي الحقيقة الضعف الأساسي اللي فيا، إن أنا طول عمري كان نفسي يبقى عندي جاغوار، بس مش الجداد، الجداد كلهم شكلهم كأنهم تويوتا كورولا، جاغوار القديمة اللي هي طالع عليها البتاع المُنجنح ده.

بعد كده جيت اشتغلت هنا management consulting. تخيلي يعني إن أنا أشتغل في management consulting. فبردو قعدت فيها مثلاً ٧ - ٨ شهور، ما طقتش ومشيت. ودخلت في الصحافة كده، الأول كمراسل في حاجة أسمها ميدل إيست ماجازين وبعد كده دخلت في حاجة اسمها الميدل إيست ميرور ثم انسحبت على الأهرام خلصة برده. مني أنيس اترجّنتي أروح أحل محلها لمدة شهر لانها هتأخذ أجازة، وكان حسني جندي رئيس التحرير قال لها لازم تجيبي حد زيك يعمل اللي انت كنت بتعمله. فأنا عملتها في الأول وأنا معتبر إن مستحيل أروح أشتغل في الأهرام يعني، فعملتها في الأول جدعنة كده مع مني وبعدين I was seduced into it. حسني جندي بالذات حطني في دماغه، وهو كان راجل جميل خالص. فالمهم ده اللي دخلني الصحافة.

^١ هاني شكرالله، عودة للعمال وحزب العمال، مشكلة التنظيم والثورة ونهاية عصر الأئندية،

طبعًا بكتب مجلات حائط ويكتب في الجريدة الحزبية والسرية. أنا كنت حزبي لغاية ٢٠٠١. حزب العمال. أنا بقول لهم دايماً هزار كده أنا تقريبًا قفلت النور ورايا. عشت فترة التسعينات دي والحزب fizzling out, fizzling out [بيتلاشى] لغاية ما بصيت لقيت ما حَولياش حد ومعظم الناس بتروح ما بترجعش. دي قصة تانية يعني ممكن نحكيها بعدين.

طب ايه تاني اللحظات اللي هي فاكرها كده، يعني أثرت في تشكيلك؟

بصي يا ستي، في طبعا ٧٢ و٧٣، دول حاجة يعني، وهتستغربي أنا إحساس النشوة... واضح إن الواحد لما بيكبر بيتدي المشاعر كده تبقى colder somehow [أبرد].

يناير ٧٢ والسادات بيلقي خطبة الضباب. احنا شغالين من أول السنة، اللي هي العام الدراسي ٧١-٧٢. فبقالنا شهور شغالين من سبتمبر بنحط مجلات حائط وحزبين يعني، بالذات إقتصاد وعلوم سياسية وآداب القاهرة، كان كلها تنظيم شيوعي تقريبًا، واحنا تقريبًا القوة الأساسية اللي فيها. ودي بالنسبالي على فكرة مهمة قوي في قراءة بعد كده ثورة يناير ٢٠١١. فأحنا قاعدين بنشغل طول الوقت، نحط مجلات حائط، نصطدم بالإدارة، نعمل ندوات، مش عارف ايه. والحياة كانت غريبة قوي أيامها. أنا دلوقتي لما بقعد أفكر معرفش ازاي الواحد الـ ٢٤ ساعة كانوا بيكفوه، لإن انت موجودة في الكلية قبل اي حد عشان حريصين إن احنا مجلات الحائط بتاعتنا الطلبة لما يجوا يلاقوها متعلقة، وأي حد يتأخر كنت اهزقه. وبنقضي اليوم واقفين قدام مجلات الحائط بنتناقش، بنعمل ندوات. وكان في دايماً لقاءات اليسار -من كل التيارات يعني- في جنية الجامعة قصاد قاعة ناصر كده. كُنا نقعد على الحشيش ونعمل رحلات، ونعمل أسر وجماعات. يعني احنا كلية إقتصاد كُنا عاملين أسرة عبدالحكم الجراحي، فكنت أنا رئيسها وعاملين حاجة اسمها جماعة القضايا الفكرية والسياسية كان ماسكها أحمد سيف.

نيجي يوم أظن ١٨ يناير، أجي رايح الكلية أبص ألاق كل حوائط الدور متغطية بمجلات حائط، جايينها الطلبة اللي هم العاديين. كلمة عاديين بايخة بس اللي ولا حزبيين ولا أي حاجة يعني، وكل العيال واقفة مابتخُشش محاضرات، واقفين في الكوريدورات وفي الصالة الكبيرة اللي برا المدرجات. عشان كده طول الوقت أقول مفيش حاجة اسمها إن في تنظيم بيعمل إنتفاضة أو بيعمل ثورة، اللي بيعمل الإنتفاضة والثورة الناس أنفسهم. التنظيم دوره هو ازاي يقودها، ازاي يوجهها، ودي مش من عندي على فكرة، ده اقتباس من نابليون بونابرت. هو طبعاً أجهض الثورة الفرنسية لكن العبارة صحيحة يعني.

فبقول لك في حالة من الذهول رغم إن إحنا قاعدين بنشتغل بقالنا سنتين، وفي الصيف في معسكرات ومش عارف ايه. احنا كُنا أرذال يعني، احنا في الكلية كُنا بقى لينا نفوذ قوي جدًا في اتحاد الطلبة. احنا كُنا كلية elite المفروض، الدفعة كُله ٢٠٠، الكلية على بعضها فيها ٤٠٠ طالب وطالبة. كانت بتتعمل رحلة للاقصر واسوان كل سنة وكانت بـ ٢٥ جنيه، أسبوع وقاعدة في أوتيلات ومش عارف ايه. فلغيناها لأن قولنا دي رحلة بورتجوازية مايقدرش عليها غير الطلبة ولاد الناس. كُنا نكدين يعني. بس في نفس الوقت كُنا عاملين نادي سينما مثلاً ويسري نصرالله كان ماسك نادي السينما بتاع الكلية، وندوات علطول.

بس مفيش حاجة أعدت الواحد للحظة ١٨ يناير ٧٢. انت بتأثري في طلبه، بتعملي بتاع، كلامك بيوصل لهذا الحد أو ذاك. بس انك تيجي تلاقي الكلية كلها مبتدخلش المدرجات، واقفة برا والناس جاية مجلات حائط من بيوتها -مش احنا اللي جايينها يعني، مش المجموعة الناشطة والماركسية- كانت حاجة مُذهلة بالنسبالي، لحظة مُذهلة. نخش على طول مؤتمر. واحنا طول الفترة دي بقى كُنا فُجر يعني. أنا كنت لما بقى عايزين نعمل مؤتمر ولا حاجة بعد الانتفاضة أخش على مدرج واحد ده -اللي هو كان أكبر مدرج في الكلية- ويبقى أستاذ بيدرس أقوله "معلى لو حضرتك تفضل لإن احنا هنعمل مؤتمر دلوقتي." قلة أدب يعني.

المهم فيتعمل مؤتمر تحضره تقريبًا الكلية غاضبًا. أحمد عبدالله أنا مشوفتش خطيب زيه، يعني أنا كنت أحد الحاجات اللي بعد كده في ثورة يناير ٢٠١١، كنت أنزل الميدان: ازاي ثورة ميقبلهاش خطيب؟

فأحمد عبدالله وهوبا، كان العيال في حالة مُذهلة! لا تخيلي التسقيف والدموع اللي تنزل من العين. طبعًا احنا أيامها أرض مُحتلة -وخطاب الضباب ده- كان المفروض في وقف إطلاق نار اتعمل أيام عبد الناصر وكان المفروض خلاص انتهى وقته والسادات بيجدده. قالك احنا كُنا هنعارب بس جه ضباب حرب باكستان والهند فعشان كده مدينا وقف إطلاق النار. كانت هي دي الشرارة اللي أشعلت الغضب.

بنبتدي الإعتصام في يومها في الكلية، وفي إعتصام في هندسة، في إعتصام في آداب، يعني نفس الظاهرة حصلت في كمية من الكليات. فيجي بعدها يوم بيبقى في اتصالات مع الدولة، قالك ابعتوا وفد من الطلبة، لأن الإعتصامات ابتدت في كل حته، فقالك ابعتوا وفد يقابل سيد مرعي، أنا مش قادر افكر كان رئيس البرلمان أو رئيس الإتحاد الاشتراكي. ده اللي هو كمال خليل طلعله الهتاف بتاع

”سيد مرعي يا سيد بيه، كيلو اللحمه بقى بجنيه.“ فعملنا وفد من جامعة القاهرة كُلها وروحنا. برده دي من اللحظات اللي مش هنساها يعني، كان عندي ٢٠ أو ٢١ سنة، كُنا حوالي ١٥ واحد من ٣ كليات ولا حاجة. اللي فاكركه كويس أوي بقى إن محدش استخدم كلمة حضرتك. فاحنا بنكلم واحد واحنا في أوائل العشرينات وبوقاحة مذهلة لما الواحد ييسترجعها. كان في ساعتها عادي، واه تجبولنا أنور السادات نحاسبه. أعلى رأس فيكوا هاتوه الجامعة، يجي الجامعة ويتحاسب من الطلبة. وماكنّاش حاسين بأي مفارقة في الموضوع على فكرة. أنا بحس بمفارقة دلوقتي بعديها بسنين لكن في لحظتها ماكنّاش حاسين بأي مفارقة، عادي احنا راسنا براسهم.

طب ايه المفارقة اللي انت حاسسها دلوقتي؟

إن انت يبقى في شباب في هذا السن، ويتعاملوا مع أعلى جهات في الدولة بهذا الجبروت ومش حاسين بإن في حاجة هم بيعملولها راديكالية، اللي هي طبعا انتوا عشتوها في ثورة يناير.

يوم ٢٠ بقى بتتنقل الاعتصامات. الاعتصام يشمل الجامعة كُلها وبتتنقل الاعتصامات على القاعة الكبرى اللي هي فيها القبة دي. بنكسر القاعة وبنخش وبتتشكل اللجنة الوطنية العليا، اللي هي بيبقى رئيسها أحمد عبدالله وطبعًا فيها زين وأحمد بهاء شعبان. برده ده يوم بقول لك أنا مكنتش مصدق. رغم إن أنا حد المفروض حزبي، ناشط، بيشتغل بقاله سنتين في هذه الجامعة، كنت مش مصدق عدد الناس وحالة الفوران والحماس unbelievable! وأحمد عبدالله يوقف يخطب، متخيليش.

وبعدين بنعمل حاجة اسمها الوثيقة الطلابية، ودي أنا شاركت فيها يعني، ١٥ بند كده. ايه بقى اقتصاد حرب، تسليح شعب، إطلاق الحريات الديمقراطية والأحزاب. وكان فيها بند دمه خفيف قوي، كان في فلسطينيين اتقبض عليهم في مصر لانهم قتله وزير داخلية الأردن وصفي التل، اللي هو كان احد المسؤولين عن مذبحة أيلول في الأردن: ”الإفراج الفوري عن البطلين مش عارف فلان وفلان -ناسي اساميهـم دلوقتي- الذين نفذوا حكم الشعب في الخائن وصفي التل.“ ده كان أحد البنود الي أنا فاكركها نصًا من الوثيقة الطلابية. وطبعًا المطلب المحوري -اللي هو حصل عليه مناقشة وجدل كثير- إن أنور السادات يجي الجامعة قدام الطلاب والطلاب يحاسبوه، وإن احنا معتصمين. انت لازم تلاقي ذريعة ما لاستمرار الاعتصام، لازم في مطلب محدد. زي الثورة ما كان إن مبارك يتنحى، ده طبعا على مستوى أكبر بكثير. احنا قولنا لا يجي، مكّناش نقدر شوية طلبة نقوله يتنحى حتى لو كُنا آلاف يعني.

الحاجة الثانية بقى اللي تفاجئك هي لما الناس تتحرك مستوى الإبداع اللي يحصل تقريباً بشكل تلقائي. يعني انتَ تنظيم بتعملي اجتماعات سرية وعندك كوادز لكن بتبصي تلاقي في طاقة تنظيمية مختلفة خالص. فيروح طالعك الإعاشة، لجنة إعاشة: جمع فلوس من الناس ونروح نجيب فول وطعمية من محل فول وطعمية قدامنا اسمه «بابا عبده»، أسوأ فول وطعمية في تاريخ مصر. حاجة مزينة ومنيلة بس هو ده كان اللي نقدر عليه. لجان حراسة: شغالة على الأسوار لأن احنا كُنا حريصين جدّا ان ما يندسش علينا حد بحيث إنهم يتخذوا ذريعة علشان يضربونا. طبعاً بالنهار بيبقى آلاف، عشرات الآلاف مليون الجامعة، وفي قاعة ناصر لما يبقى في جلسات اللجنة الوطنية العليا أو ندوات. وغير كده قاعدين في الجامعة، الجامعة بتاعتنا. يعني احنا مستلمينها ومحوظين على البوابات واختفى الرجال بتوع الأمن وكله خلاص. مفيش حد يبيجي غيرنا، وفي عدد كبير بييات.

بنشكل لجان وطنية في الكليات كلها، ففي اللجنة الوطنية العليا وفي اللجان الوطنية للكليات. وده الفرق المهم بين جيلنا وبين جيل ثورة يناير ٢٠١١. إن احنا كان موضوع التنظيم في مقدمة اهتماماتنا، مش مجرد إن احنا بنعمل تنظيمات سرية ومش عارف ايه، لآ التنظيم الجماهيري، واحدة بالك، إن احنا نخلق بدائل لهيمنة الإتحاد الاشتراكي، بدائل شعبية. فالمهم وصلنا لإن احنا هنبعت وفد من اللجان الوطنية للحركة. إن هو السادات قالك "أنا لن أجي" ومش عارف ايه وكان بيتفتف وحاجات بالشكل ده، وجه عمل خطبة هيستيرية كده قال لك "يقولوا أجي، أنا لن أجي!" عاجباني أوي أنا لن أجي دي عشان كده فاكرها. المفروض أنا لن أذهب مثلاً. احنا الآي كيو في النازل على طول.

المهم، قال ابعت وفد فروحنا. ده غالباً يوم ٢٣ يناير. طلبنا لقاء بين الطلبة وأعضاء مجلس الشعب مكتملين. عملولنا جلسة مسائية كده، بعقولنا أتوبيسات خدتنا على مجلس الشعب. كُنا حوالي ٥٠ واحد، حاجة بالشكل ده، وبردو أحمد عبدالله وقف يتكلم. بقى في أعضاء في مجلس الشعب قاعدين بيعيطوا. المهم احنا كُنا لازم نلاقي خطة للتراجع عن إن احنا نجيب السادات، واحنا أصلاً مش عايزين نشوف خلقة أمه، احنا كله ذريعة يعني. فقلنا لهم دلوقتي مطالبنا لفض الإعتصام هي الآتي:

١- إذاعة الوثيقة الطلابية في التلفزيون وفي الراديو كاملاً ونشرها في الصحف ٢- الاعتراف باللجان الوطنية باعتبارها الممثل الشرعي لحركة الطلبة. إثبات شرعية اللجان، إن احنا عايزين نعمل حاجة مبيقاش مسيطرة عليها الحكومة، عايزين نعمل تنظيم جماهيري طلابي مستقل عن الدولة.

وطبعًا احنا في خلفيتنا تجربة اللجنة الوطنية للعمال والطلبة بتاعت ٤٦. انتِ كل ما يبقى في هبة كده بتسترجعي تاريخ، يعني احنا فعلاً جيلنا ده أحيا ذكرى ما قبل ٥٢. يعني جت ٥٢ وقفلت على كل حاجة قبلها، يعني كل اللي قبلها ده كأنه لم يحدث، يادوبك يعني يجيبوا سيرة ثورة ١٩ على مضمض. بس يعني لو تفتكري الأغاني بتاعت أيامها يعني، أو مش تفتكروا لو سمعتوا الأغاني، ناصر صَحَّنا يعني. احنا كُنا نايمين في سبات عميق وجه عبد الناصر فوَّقنا. فتكتشفي لأ ده احنا عندنا تاريخ نضال، فبتستدعي تاريخ.

يعني احنا فكرة إن احنا نسمي الأسرة اللي أنا كنت رئيسها دي «عبد الحكم الجراحي»، ده كان طالب في ٣٦. في مظاهرة على كوبري عباس -قصة يعني معرفش لأي مدى دقتها التاريخية- المفروض إن ضابط الإنجليز موجه له المسدس: "اقف اقف اقف!" فعبد الحكم الجراحي ماسك العلم وماشي لغاية ما الراجل، الضابط الانجليزي، يضرب بالرصاص، ومات. فبقلك يعني إن في إستدعاء للتراث الشعبي، بحقيقه وأساطيره. أنا عمري ما عرفت لأي مدى دقيقة القصة، بس very romantic يعني.

المهم، فروحنا بالمطالب مجلس الشعب. يخشوا اللجنة الوطنية العليا مع رئاسة البرلمان، واتصالات بقى المفروض بالسادات وحاجات بالشكل ده. بيوافقوا، أو هكذا يقال لنا، فبنرجع بالأتوبيسات على الجامعة وبنخش طابور كده على قاعة الإحتفالات الكبرى. راجعين منتصرين، فالعيال بيستقبلونا عارفة زي الغزاة الفاتحين. حالة من اليوفوريا unbelievable unbelievable! احنا داخلين بقى رافعين راسنا، خلاص انتصرنا. كان الخبر يبقي وصل للناس عشان كده بيستقبلونا. لكن بتطلع اللجنة الوطنية العليا وأحمد عبدالله يقول اتفقنا على كذا وكذا وكذا، وفي نشرة الساعة ١٢ - أظن ١٢ ولا ١١ مش فاك-ر- بليل، كل اللي بتتكلم عنه هيتذاع، هتتذاع الوثيقة الطلابية وقرار الإعتراف باللجنة الوطنية. المهم، نفرض شوية، كله يريح شوية، ياكله ساندوتش، مش عارف ايه.

وبعدين بنيجي على قبل النشرة القاعة مكتظة عن آخرها. القاعة دي بتاخذ لها عشرين ألف يعني، وكانت تبقى مش بس الكراسي، الكوريدورات متقفلة يعني. اللجنة الوطنية العليا بيطلعوا على المنصة، يفتحوا الراديو قصاد الميكروفون، تيجي النشرة، ومفيش سيرة. لا وثيقة ولا إعتراف بلجنة وطنية ولا أي حاجة. حالة من الوجوم الرهيب، كله بقى ايه، عارفة لما يقولك على رؤوسهم الطير؟ وغضب. يطلع أحمد عبدالله يقول لك خلاص احنا بكرة هنزل الشارع، واللي هيدبحنا الشعب هيدبحه. انتِ لسه كل تاريخك إن اللي بينزل الشارع بيتضرب بالرصاص، فأنتِ متوقعة انك هتروحي خلاص هتستشهدي.

المهم أظرف حاجة بقى في الموضوع، كان عندنا معيد طخطوخ كده وأبيض، ابن ناس يعني، كده جت قاعدتي جنبه. كنت بحبه. هو شخص لطيف، حبوب خالص بس مَلوش في البطاطس بس ايه تحمس من ضمن كل اللي تحمسوا. وكان ألدغ في ال «س» وال «ص» ويتاع. فالمهم بعد الهاتفات بقى "اللي هيدبحنا الشعب هيدبحه، اللي هيدبحنا الشعب هيدبحه" -خلاص بقيت حالة من الفوران العنيف- راح مِمِيل عليا كده وقال لي: "هاني... انت عارف، النضال حلو «بث ثعب»". فأنا اعتبرتها قول مأثور حتى هذه اللحظة: النضال حلو بث ثعب.

بيبتدي الناس الألوفات تروّح يعني ويفضل اللي بيبات، بتاع ألف واحد. معظم الناس بتبات في القاعة نفسها، واحنا مجموعة كلية إقتصاد كُنا نروح نبات في الكلية. فكلنا نايمين على أساس إن احنا بكرة مظاهرات ويحصل اللي يحصل. مظاهرات في الشارع يعني. احنا نازلين على التحرير بردو، وفعلاً متوقعين إن احنا هنتضرب بالرصاص، بس هنقوم الناس.

ومستعدين؟

ومستعدين... أنا شوفت بعد كده في جيلكم المنِيْل بقى، وقفت اتفرج على ناصية شارع محمد محمود، شفت حاجة لم أكن أتخيلها، وماعتقدش انها اتشافت في أي حته في الدنيا، ربما. في حاجات بتبقي في حالة. جيلنا متعود على إننا بنطلع مظاهرات، البوليس بيهجم علينا بالعصيان بنجري. ونضرب طوب ونجري. فأنا شفت ناس بتضرب بالرصاص وبتجري على اللي بيضربوا عليهم الرصاص. أنا مكنتش مصدق عينيًا. والعيال اللي بالموتسيكلات اللي يروحوا يجيبوا القتل والجرحى، فوووو فووو. العيال عمالة تجري في موجات من الهجوم على ناس بتضربهم بالرصاص فعلاً، مش بعصيان. أنا رأيي المشهد ده لو اتعمل سينما مش هيتصدق.

فالمهم، أنا نايم آجي ألاقى حد بيصحيني الفجر قبل الشمس ما تبزغ: "اصحى يا هاني زين واقف برا وعائزك!" فقامت. بوابة الكلية إزاز، يعني خشب مضلع يازاز، فالاقى المشهد التالي: محمد سيد سعيد واقف فوق مكتب، سنقاوم حتى الموت وعمال يزعق وبتاع، وزين العابدين واقف برا البوابة. بوابة الكلية مقفولة بمفتاح. فبروح لزين فيقول لي: "وحياتك يا هاني هدي محمد سيد سعيد، إحنا قرنا إن احنا نسلم نفسنا بشكل محترم وهادي من غير عنف." وأنا باقتنع يان ده الصح، تقاومي إيه يعني. هو زين كان واقف وحوليه ٥ ضباط وصقّين أمن مركزي واقفين بالدروع والبتاع. دخلوا على الجامعة، كسروا البوابة الخارجية واقتحموا الجامعة ودخلوا على قاعة الإحتفالات الكبرى -قاعة عبد الناصر

دي- اللي هي كان معظم الناس نايمين فيها. بس دخلوا بشكل مهذب نسبيًا يعني، مش داخلين يضربوا. اللجنة الوطنية العليا اتفقت، فحصل تفاوض طيب احنا هنسلم نفسنا بس تعاملوا معنا بكرامة وباحترام وإلا هنطربقها على دماغ الجميع. بيتفقوا على إن هيبقى التسليم سلمي فبروح بقنع محمد سيد سعيد. خلاص احنا لازم إجماع. حتى العدد ما يسمحش إنك تقاومي، يعني انت كلك على بعضك ألف واحد أو أقل شوية.

فبنبتدي نلتحق بطابور بيبقى طالع من قاعة الإحتفالات الكبرى، طابور أفراد، فرد فرد فرد. طابور يعني شديد الانضباط. والطابور بردو مشهد من اللي عمري ما هنساه، إنه كده في حد ذاته رومانسي قوي: صفين عساكر الأمن المركزي بالدروع والخوذ وبتاع، والطلبة ماشين في وسطهم ولاد وبنات واحد واحد واحد واحد. طابور طويل جدًا جدًا، واصل من كلية إقتصاد لغاية البوابة الخارجية، اللي هي قدام تمثال نهضة مصر. فانت ماشية وطابور الماشين بيغنوا بلادي. مكنّش لسه نشيد قومي، كان أيامها «والله زمان يا سلاحي» وحاجات كده خرا كده، سوري يعني. فبنغني بلادي وماشين في اتجاه البوابة الخارجية ويادوبك الشمس بادية تطلع كده، عارفة القبس الأول ده؟ فموقفين لوريات بتاعت الشرطة دي برا، لوريات لوريات لوريات، وايه يملوا لوري يجي اللي وراه. وكان في عيال بقي -اللي هو حاجات أنا عمري ما بعملها- يجي يوصل لبوابة الجامعة فيروح نازل بايس أرض الجامعة وحاجات كده. It looks good, but it's not my thing.

المهم حشدونا في البصات دي واخدونا على حطة سمنها الاسطبل. هي زي هنجر كبير كده السقف بتاعه صفيح، وحطونا ولاد وبنات في نفس المكان، يعني ١٠٠ واحد. دي حاجة اللي هي دايمًا تُذهلك قد ايه لما بيبقى في ثورة جماهيرية بتخلق إبداعها الخاص. فتحولت حيطان الاسطبل -اللي احنا مسمينه الهنجر الضخم ده- كلها لرسومات وشعارات، اتغطت تمامًا يعني. وطبعًا كانت لحظة غريبة جدًا إن انتِ كله بقي -لما جه تعب- نايمين على الأرض تلاقي بنات حاطه راسها على رجلين ولاد وحاجات كده اللي هي كانت غير مألوفة في البلد أيامها.

بيفتحولنا الراديو أظن على خطبة للسادات، اللي هي بيقول فيها القاعدة الطلابية سليمة لكن في ٣٠ أنا عاوزهم. فكل أهلنا طبعًا اعتبروا إن احنا ما مدام ممسوكين بيقا احنا من التلاتين. بعدين ياخدونا على معهد أمناء الشرطة اللي هي كانت حبسة فاكهة يعني، ٣ أيام. أنا أفرجوا عني بعد ٣ أيام، كانوا مستهيفي أيامها لسه بيدو. في ناس قعدت ١٥ يوم، أطول حد قعد ١٥ يوم. دول نقلوهم على القلعة، اللي هي فيها بقي أنا روحت القلعة وشفت يس.

الطلبة جُم لقوا الجامعة متحولة بالأمن المركزي فعرفوا إنهم قبضوا على المعتصمين فالناس طلعت على التحرير. وتيجي بقى قصة الكعكة الحجرية واحتلال ميدان التحرير اللي استمر يومين اظن أو ثلاثة ولا ايه مش فاكِر، والشيخ إمام وأحمد فؤاد نجم بقى بيغنوا، وشعراء وبتاع. كل مثقفين البلد تقريبًا كانوا واقفين في التحرير يومئذ.

طب اشمعنا التحرير؟

بصي هو كان التحرير أيامها جغرافيًا مركزي فعلاً. هو ماعدش. القاهرة أيامها: عندك أبعد نقطة حلوان، المعادي، وبعدين أبعد نقطة من الناحية الثانية مصر الجديدة، مفيش حتى مدينة نصر لسه، وبعدين الدقي والناحية الثانية من النيل. فهي فعلاً كانت مركز، وكان كل الأتوبيسات موقَّفها الأساسي التحرير. كان أيامها تروماي ومترو مش عارف ايه، كله متمحور حوالين التحرير. بعد كده بقى التحرير رمز أكثر منه جغرافيًا حاجة منطقية. وطبعًا واسع، مساحة ضخمة. وكان أيامها في كمان قاعدة تمثال المفروض أظن معمول للخديوي إسماعيل، وبعدين بتيجي الثورة، فيفضل متأجل. قالك نعمله لعبد الناصر، ويفضل متأجل. عبد الناصر بيموت والسادات ينسى طبعًا، لغاية ما يشيلوه ويعملهم الخبر الاخراني بقى في عهد السيسي. فالتحرير كان منطقي يعني. بعدين انتِ جامعة القاهرة تعدي كوبرين، مش كده؟ اه كوبري الجامعة ثم كوبري قصر النيل. لو جاين من عين شمس بردو، منطقي يعني. والمتحف المصري. يعني الرمزيات مهمة. واتيقر يعني.

بس يا ستي، وبنرجع الجامعة. هم طبعًا بيقلوا الجامعة بقى، يعملوا أجازة نص السنة مبكرة، وبعدين بنرجع بعديها بسنة تبتي انتفاضة ثانية. دي بقى اللي هي فيها الهروب الكبير بتاعي، هنخش في كل الحاجات دي؟

لا أعلم إذا كانت هناك كلمات تصف إحساسي أو التاريخ الذي جمع بيننا. فلقد تغيبتُ عن مصر لأكثر من أربعين عامًا، ولكن لم تغب مصر عني يومًا، ومصر هي الأساس كل الأحباء والأصدقاء والأهل والتاريخ المشترك والقعدة الحلوة والنقاشات الحامية وغير الحامية. كنّا يساريين وماركسيين ومتحمسين للوطن ونريد تغييره للأفضل دائمًا، وحاديينا هو العدل الاجتماعي والحرية للإنسان والوطن.

عرفت هاني في السبعينيات من القرن الماضي في عنفوان الحركة الطلابية، وفي محاولة إعادة بناء الأحزاب اليسارية التي حلت نفسها في الستينيات. وكان كل منا في تنظيم مختلف. كانوا [باقي التنظيمات اليسارية] يعتبرونا «يمينيين»، وإحنا بدورنا كنا بنقول عليهم «أسياخ» [جمع سيخ تعبيراً عن الحدة] من شدة اليسارية. اختلفنا كثيراً واتفقنا أكثر بالذات بعد ما طال العمر، وكبرنا.

ولاحظت حديثاً أن هاني شكر الله كتب على صفحته بموقع فيسبوك يوم ٢٢ أبريل ٢٠١٩: «..يلح عليّ الشعور بأننا بحاجة ملحة لـ paradigm shift [تغيير جذري في المنظور] فلم يعد ممكناً أن نظل نخاطب بعضنا البعض ونتشاجر مع بعضنا البعض، وتنافس على قيادة بعضنا البعض أو على «الزعامة» و«الشعبية» في صفوف دوائرنا المغلقة اجتماعياً وسياسياً وفكرياً وثقافياً...». كتبت ذلك بخصوص الاستفتاء الأخير [الخاص بالتعديلات الدستورية]، كأنه يُعلق على تاريخ الحركة اليسارية وكل ما عاصرناه.

ذكّرني هذا بموقف حدث بيننا في أكتوبر ١٩٧٣. بعد قيام الحرب بعدة أيام، توجه الكثير منا إلى المدينة الجامعية للنقاش والاتفاق على الموقف الذي تعلنه الحركة الطلابية من الحرب. وكان كل منا مُحملاً بمواقف حزبية تمهيداً لإصدار بيان. وكان رأي مجموعتنا، أذكر منهم المرحومين الدكتور هشام السلاموني والأستاذ أحمد سيف الإسلام، أن نؤيد قرار السادات بالحرب ونطالبه باستمرار القتال لتحرير كل سيناء، فنحن نريدها حرب تحرير لا حرب تحريك (عندما تقرأ مذكرات [رئيس الأركان الأسبق سعد الدين] الشاذلي - تكتشف أن السادات كما لو كان سمع كلامنا، ووجه الجيش في اتجاه الممرات مما تسبب في كارثة الثغرة).

المهم أن هاني ومجموعته كان رأيهم أن «دي حرب تحريك بالاتفاق مع الإمبريالية الأمريكية، وعلينا أن نفصح هذا الأمر». وكان معنّا أحمد بهاء شعبان في تنظيم ثالث، وكان رأيهم «إن إحنا ما نقولش أي حاجة». المهم طُرحت الآراء المختلفة للتصويت وأخذنا الأغلبية، وانتهت هذه الأغلبية وقتها بأنها غير واعية، في مقابل «الأقلية الواعية». الغريب أننا كلنا كنا محموقين جداً، كأننا انتصرنا أو انهزمنا في الحرب الحقيقية.

حسام عبد الله ، مدى مصر^٢

^٢ رثاءً على حائط هاني شكرالله، مدى مصر، ٩ مايو ٢٠١٩. <http://tiny.cc/gb14nz>

بتضاعف أعداد الناس اللي مرتبطة بالحركة اليسارية في الجامعة، بتضاعف فعلاً. يعني على العام الدراسي التالي اللي هو ٧٢ - ٧٣، كُنا ابتدينا بقى نعمل مظاهرات، اللي هي مسيرات جوا الجامعة. وكانوا قضاوا الصيف يحضروا لنا حلف البلطجية والإخوان، الجماعات الإسلامية. عملوا معسكرات صيفية كُنا مسمّينها معسكرات التتخين. كانوا يجبلهم أكل فخير. كُلها محاضرات دينية وهجوم على الشيوعية والإلحاد والبتاع، وتدريب كاراتيه.

بيتدي العام الدراسي ٧٢ - ٧٣ بالضرب وتقطيع المجلات، وتبصي تلاقي رضوان الكاشف بيتشال ويتهدد ويطيّر في الهواء، حاجات كده يعني. لغاية يوم ٢٩ بيجوا يقبضوا على حوالي ١٥٠ واحد، أنا وعلاء بنجح في الهروب، هروب خفيف يعني. البوليس في البيت قعد ٣ أيام واحنا قاعدين في الدولاب أنا وعلاء بس مش موضوعنا دلوقتي. هما بيجوا يقبضوا على قيادات الحركة يعني في كل الجامعات. يعني الـ ١٥٠ دول كانوا جامعة القاهرة، جامعة عين شمس، جامعة الأزهر، يعني تقريباً كل جامعات مصر، بما فيها أسيوط. فاحنا بنهرب ٣ أيام وبعدين بنروح على الاعتصامات. كل الجامعات معتصمة، فأنا بروح على القاهرة وعلاء بيروح على عين شمس. وطبعاً مظاهرات، نخرج الشارع ونضرب ونرجع الجامعة ونخرج الشارع ونضرب ونرجع الجامعة لغاية ما يقفلوا الجامعة. علاء بيتقبض عليه وأنا بهرب.

طب وهل الحرب كانت بالنسبالكو هزيمة؟

لأ احنا حرب أكتوبر كُنا مُختلفين. دي الخلاف الكبير اللي كان بينا وبين مثلاً منظمة الشروق، بس مكناش حمقى يعني. احنا كان رأينا إن دي مش حرب تحرير وإن الحرب محدودة الهدف، منها إعداد الأرض للتفاوض حولين سلام منفرد بين مصر وإسرائيل. لما حصلت حرب أكتوبر كانت الجامعة مقفولة، كان اجازة. طولوا الاجازة يعني. فتاني يوم، يعني يوم ٧ أكتوبر غالباً روحنا مجموعة كده -بتاع ٥٠ واحد- على الجامعة علشان نتناقش في ايه اللي بيحصل.

واحد حبيبي يعني صديق عزيز جداً ليا، يومها اختلفنا بشكل عنيف، كان جايب بيان جاهز، تأييد للسادات والجيش والقوات المسلحة الباسلة ومش عارف ايه. فأنا روحت كاتب بيان ثاني: اه احنا هنقف ورا القوات المسلحة المصرية وكذا ولكن بنطالب بتسليح الشعب واطلاق اقتصاد الحرب واطلاق الحريات حتى تتحول الحرب من حرب نظامية لحرب شعبية، حاجات بالشكل ده. كله طبعاً كان شعارات لطيفة، بس مكنتش قابلة للتحقيق إطلاقاً يعني. بس انت بتقولي الموقف الصح.

تاني حاجة بقى عملناها إن احنا كُنا اتطوعنا في المقاومة الشعبية، ولَبَّسونا ميري وبتاع، وروحنا المعسكرات وبقينا بنبات قاعدين في المعسكرات. وطبعًا كله كان حاجات عملينها لانا عشان يهدونا يعني، والضباط أصلًا كانوا متجننين من الناس اللي لابسين ميري دول ويعملوا مظاهرات في المعسكر.

فبقولك كتبت أنا بيان بس التصويت جه ضدي. كان دايمًا الأغلبية معانا احنا، لكن في لحظة الحرب الأغلبية راحت للموقف الثاني اللي احنا كُنا بنعتبره موقف يمين، بصرف النظر يعني عن ان التسميات كُلها سخيصة. فدي الحرب.

آخر انتفاضة طلابية بتبقى في ٧٥، واللي بي فجرها انتفاضة عمالية. يعني بيتدي انتفاضة عمالية، بتيجي العمال يمشوا من حلوان للتحرير فاحنا بنروح. بتنفجر الحركة الطلابية، وبردو بيتم القبض علينا وانا بهرب تاني. بس هروب ٧٥ ده كان هروب مجنون، وأنا اللي كنت المشرف على التهريب في القاهرة. في القاهرة لوحدها كُنا مهريين ٧٠ واحد حزبي. شقق سرية بقى وبطاق سرية.

بتيجي بقى فترة ٧٥ لغاية ٧٩ أو ٨٠ فترة صراعات داخلية عنيفة جوا الحزب لأن الحزب بيتحول فعليًا لتكفير وهجرة في الفترة دي. الحركة الجماهيرية بتخفُ والقضية الوطنية هي القضية الكبرى لأنه معظم كدرك طلبة و مثقفين، عندك عمال بس قليلين. يعني هي فترة مفارقة جدًا، لو بصيتوا في الحته اللي أنا حاي فيها قصة حزب العمال.

خلاص حرب أكتوبر حصلت، فحدة الاحساس بالقضية الوطنية بتخفُ، اللي هي كانت الدافع الأكبر اللي ييحرك المثقفين والطلبة. في نفس الوقت يبحر العمال، لأن العمال طول الوقت كانوا مُبتزين بإن احنا الوحدة الوطنية وفي حالة حرب وحاجات بالشكل ده. فتلاقي هبوط في حركة المثقفين والطلبة وصعود عارم في الحركة العمالية. احنا سياسة التنظيم للأسف قاعدة متمسكة بإن القضية الرئيسية هي القضية الوطنية ومقاومة الاستسلام اللي هي بقيت خلاص مقاومة الخيانة الوطنية -تنظيرات كلها كده- وبالتالي من الناحية الفعلية اللي يحصل هو التنظيم كله بيتحول لجوا. الناس كُلها بتتشد لجوا، وبتعملي شقق سرية وتبتدي تطلع نظريات خرافية إن احنا بنبي المجتمع الشيوعي في رحم المجتمع الرأسمالي، حاجات بقى هبَل كده يعني.

كنت وقتها حاسس إن ده هبل، ولا احنا بنتكلم من نظرتك له دلوقتي؟

ده من ٧٥...

أنا كنت هريان في شقة في شبرا، أو يعني مريت بكذا حاجة كده لغاية ما رسي بيا الحال اننا واخدين شقة في شبرا. البطايق مزورة كلها طبعًا. بطايق مزورة بالهبل لعلمك يعني، معرفش كانوا يجبوها منين. فكانت الشقة فيها ثلاثة، أنا وواحد تاني -أنا كنت القيادي اللي فيهم- وبنت. اتنين رجالة وبنت. كنا بنعمل حاجة اسمها سيناريو. وفقًا للسيناريو هو جوزها وأنا أخوها، وكانت شقة اوضتين. طب ده السيناريو اللي احنا قايلينه لأصحاب البيت (هي شقة مفروشة بندق فيها ٢٥ جنية ايجار، فيعني كانت معتبرة من الشقق الفاخرة بتاعت الحزب اللي مأجرينها للهروب. في حاجات بشعة.) فالسيناريو إن الولد التاني -لأنه أصلع شوية فشكله كبير شوية في السن- هي كانت مراته (كانت سنة ٧٥ يعني أنا ٢٥ متمتهاش لسه -عيد ميلادي في يونيو- فكنت ٢٤ سنة.) ده السيناريو الخارجي، احنا مش مفترض إن الناس هتخش علينا البيت واحنا نايمين. فالحاجة الغريبة بقى -لغاية دلوقتي محيرني الموضوع ده- كنا بنخلي الولد والبنت -اللي هم مفيش بينهم علاقة ولا حاجة- كاتنين زملاء حزينين يناموا في أوضة وأنا في أوضة وهم بيناموا في نفس السرير. فليلة لقيت البنية جاية بتعيط، صحيت لقيت أخونا ده (أنا مش عارف الحاجات دي نسجلها ولا لأ) كان بيتحرش بيها. بس قلبنا الدنيا طبعًا. رocht جايب حد من اللجنة المركزية -أنا كنت لجنة منطقة أيامها مش مركزية- وعملنا تحقيق وهبطناه ياعيني. هو كان عضو لجنة قسم، هبطنا عضو مرشح. ده اللي كان أعلى ما في خيلنا في الموضوع... هي حكاية مائلة.

أنا طول الوقت دايمًا المخ يقرأ أي تجربة مريت بيها ومعنديش أي مشكلة في إن أنا أقول إن أنا كنت حمار. يعني ما بلقيش أي حاجة مهيينة ليا يعني إن أنا أقر إن أنا كنت حمار في حاجة معينة يعني أو فهمتها غلط خالص وكان المفروض أفهمها بشكل مختلف. ومبعتبرش ده فيه أي حاجة بتقلل من الواحد، فطول الوقت في حاجات. وانت بتتعلمي طول ما انت بتقراي وبتمارسي، والممارسة بتعلمك دروس.

احنا في ٧٥ يُعاد تشكيل قيادة التنظيم من المجموعة اللي كان مقبوض عليها وخرجت. يحصل حاجتين في ٧٥ في الهروب الضخم ده. هم بيخرجوا في نفس الوقت فيتنام بتتنصر. فأنا فاكرو يوم بعزقنا فلوس وجبنا ازاة نبذ علشان نحتفل بانتصار فيتنام وخروج الرفاق القياديين. بعد كده بيعتوني أنا ورفيق تاني مش هقول اسمه دلوقت لتأسيس فرع الخارج في بيروت. بيعتمدوا على إن

أبويا كان اتعين سفير الجامعة العربية في الهند.

أنا بكمل الجامعة في الهند. أساسًا قاعد في بيروت، وأروح كل شوية أطلع على دلهي، جامعة أليجار، اللي هي عملت فيها آخر سنة. أنا قضيت سنتين هريان، ٧٣ و ٧٥ مدخلتش امتحانات لإني هريان. ده بياخر تخرجي خالص. تندلع الحرب الأهلية اللبنانية ويبقى في اتصالات بالجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية والمنظمات اليسارية الفلسطينية. قابلت الدنيا بحالها أيامها، من أول فواز طرابلسي لمنظمة العمل الشيوعي اللبناني، كمال جنبلاط، جورج حبش، نايف حواتمة، ألخ. عرفات نفسه قعدنا معاه.

بنبتدي أنا والرفيق الثاني نبقي شايفين إن في سياسة غلط احنا مش موافقين عليها، سياسة عزولية بتشد الحزب لجوا بدل ما يفتح. في حركة عمالية ناهضة بدل ما ترتبط بها قاعدين بنطلع بقى نظريات "الحزب هو الجريدة" وأوراق، أوراق، أوراق. أما تشوفي يعني أوراق الحزب آلاف الصفحات. في نفس الوقت في خلافات في القاهرة نفسها. أول خلاف اللي هو يیطاح فيه بمجموعة جلال الجميحي ورضوان الكاشف وسمير حسني وبيتفصلوا من الحزب. ودول كانوا قرييين مننا جدًا كمان شخصيًا، بس مع ذلك بنوافق انضباطًا يعني. احنا كان عندنا فكرة الإنضباط دي، مادام الأغلبية أخذت قرار حتى لو انت متضايقة منه انت منضبطة. بس بنبتدي نختلف داخليًا وحاسين إن في شئ غلط بيحصل بالنسبة لنا احنا كفرع خارج. احنا كُنا ابتدينا نؤثر بشكل شديد في اليسار الفلسطيني واليسار الراديكالي الفلسطيني، بالذات اللي هم كانوا رافضين فكرة الدولتين، زي الجبهة الشعبية وجورج حبش. ده كان بقى صاحبنا، واحنا عيال! المفروض هو راجل بيشتغل من سنة ٥٠ مثلًا يعني، أسس حركة القوميين العرب وبعدين بعد ٦٧ الجبهة الشعبية.

المهم، تبتدي خلافاتنا تتصاعد لإن هما بيروحوا عاملين انشقاق في الجبهة الشعبية بالرغم من معارضتنا. احنا كان رأينا -واحنا اللي موجودين في فرع الخارج- إن المفروض نأثر مش نشق. بيتعمل [الانشقاق] من القاهرة، يُعلن في القاهرة، وبنفاجئ بيه أصلًا، تشكيل حزب العمال الشيوعي الفلسطيني. المسؤول السياسي بتاعنا كان أيامها عنده حالة يعني، شوية كده جنون عظمة، فعازي يبقى زعيم الحركة الشيوعية العربية كمان مش المصرية بس، واحنا متنبيلين بنيلة في مصر أصلًا. لكن طبعًا المحور اللي في الموضوع إن انت مشغولة بالقضية الوطنية على حساب القضايا الأخرى اللي هي كان ممكن تعملها فيها وترتبطي فيها بآلاف مؤلفة من الناس يعني.

فاحنا بنعتبر ده جنون ويبقى خلاص لازم تغيير القيادة. في نفس الوقت بيبتيدي يبقى في كتلة تانية معترضة على قيادة اللجنة المركزية من جوا. احنا كان قرار الحزب إن احنا منرجعش، وقالولنا انتوا لو رجعتوا هيتقبض عليكم فوراً. أنا في ٧٩ بقرر لأ أنا راجع راجع. أنا خلاص حاسس إن هيحصل كارثة في التنظيم. قُلت راجع راجع إنشالله أخش السجن، في الآخر هطلع.

فرجعت ومدخلتش السجن ولا حاجة. كان في حاجة اسمها الأقلية. اتصلت بالأقلية واتصلت ببعض الناس في الأغلبية وابتديت أرق في اتجاه إن لأ السياسة دي غلط ولازم نقاومها ولازم نغيرها. برکز على اتنين بالذات كانوا من الأغلبية اللي هي قريبة من السكرتير العام أو الأمين العام للتنظيم، صالح محمد صالح، شخص مشهور جداً. أنا بكتب ورقة وفي نفس الوقت بكون بعمل تجنيد. وبنكتب خلافات، ورقة خلافات كان بيكتبها واحد من الأقلية اللي هو صلاح العمروسي. أنا محطتش نفسي مع حد، وكان فيها جزء من اللؤم كده إن أنا عايز أكسب الأغلبية، فما حطتش نفسي مع الأقلية رغم إن أنا كنت على اتصال مستمر بيهم.

فأنا بكتب وصلاح بيكتب. أنا كتبت ١٢٠ صفحة، صلاح طبعاً كتوبة فكتب ٢٥٠ صفحة. المهم بالتدريج في ناس بتبتدي تنتقد أسلوب ما أطلق عليه أيامها الأسلوب القيادي للأمين العام أو مسؤول الحزب. أنا بيبقى موقفي إن لأ مش موضوع أسلوب قيادي ده موضوع خط كامل كله غلط وانعزالي ومتطرف وبيعزلنا عن الحركة الجماهيرية، إلى آخره. والحقيقة يعني اللي اقتصعت بموقفي خالص -رغم إن هي كانت تقريباً الرجل الثاني في الحزب أيام صالح محمد صالح (احنا كُنا بنسميه صمص)- هي أروى صالح، الله يرحمها. فكنت أخرج في أجازات الجيش أروح على الحزب وأقابل أروى وصلاح العمروسي واوربها نقد لحاجات هي كتبها، نقد مَسَحَتْ بيه الأرض يعني. كانت تقعد تقرأها وتضحك، تقول لي لأ عندك حق ومش عارف ايه. المهم بيتغير ميزان القوة في اللجنة المركزية وبنعمل اجتماع كدر وبعدين بنعمل مؤتمر حزبي، بنفصل فيه المسؤول السياسي أو بُعيد تشكيل اللجنة المركزية والمكتب السياسي، وبنلغي منصب المسؤول السياسي. وأنا ببقى مسؤول تنظيمي للحزب، ده على سنة ٨٠ مثلاً. بنبتيدي نحاول نغير الواجهة، بس انت بتخشي في عهد كان خلاص كله في الهبوط.

حركة المثقفين تحولت لحركة النخبة، اللي فضلت معانا لغاية ثورة يناير. يعني اللي هو مجموعات القوميين على المش عارف ايه. احنا طبعاً الحركة الإسلامية طول الوقت كُنا بنعتبرها خصم، يعني مش زي الجيل الجديد ولاد التسعينات، بالذات الاشتراكيين الثوريين، كانوا يعملوا معاهم حاجات مشتركة. احنا كانوا بالنسبة لنا دول زيهم زي النظام.

شوفي، دي أصعب فترة بالنسبالي إن أنا أقيم غلطنا فين وليه، لأن احنا كانت الفكرة هو الإنفتاح على أي حركة، إن احنا نرتبط بكل الحركات وبأي منبر نقدر نعمله. في نفس الوقت انت من الناحية الفعلية عندك صعود إسلامي ساحق. الطلبة اللي كانوا بيروحوا للسيار بقوا بيروحوا للإسلاميين خلاص، فالإسلاميين بيستولوا على كل اتحادات الطلبة، وهم القوة المهيمنة تمامًا. الفكر السائد نفسه، الأيديولوجية السائدة بتبقى نص نيو-ليبرالية على نص إسلامي.

ملايين بتروح الخليج، فبقى عندك كمان حتى الحركة العمالية بتبتدي تهبط، رغم إنها من ٧٣ لغاية انتفاضة يناير ٧٧ في صعود ساحق. بتتضرب الانتفاضة ويبتدي سياسة تدريجية اللي هي اللبرة التدريجية. وكمان الحاجة اللي احنا أطلقنا عليها الحل الفردي، خلاص تعملي إضراب ليه وانت تقدر تسافري السعودية ولا الامارات ولا ليبيا ولا العراق. انت كان عندك كام مليون مصري في العراق؟ العراق لوحدها مليون، وليبيا مش عارف بردو مليون تانية. أظن في ٤ - ٥ مليون كانوا برا البلد في نفس الوقت. فصعود إسلامي، هجرة، موات السياسة في البلد. نبتدي بقى كمان اللي هو أنا كتبت فيه كثير، اللي هو أطلقت عليه التحول الأولي جاري للنظام السياسي المصري. احنا كُنا بنسميهم البرجوازية البيروقراطية مع القطاع الخاص، ويتعاملوا مع البلد كأنها عزبة ويتقاسموا الغنائم مع بعض. فدي بداية عهد مبارك.

رغم إنني كنت أسن من رفيقنا في العمر بخمس سنوات فقط فقد كنت أراه شابًا قياسًا بي، ولكن هذا الشاب برهن لي من خلال إحتكاكنا في المكتب السياسي على نضج استثنائي، الأمر الذي كان سببًا في اختياره وموافقة اللجنة المركزية على عضويته فيه.

كان هادئًا رزينًا يتحدث وكأنه يملك حكمة الشيوخ، ودائمًا بموضوعية، ويهدف الإقناع أو الاقتناع، ولم يكن من طراز طواويس البورجوازية الصغيرة الذين يسعون بنقدهم لموقف ما الى التبخر والبروز، وسواء أكان هناك جدال شفوي في اجتماع، أو في اوراق النشرة الداخلية المركزية (ندم)، فقد كان يحتفظ بمزاج رصين ودود، ويأصر على التحلي بروح رفاقية مستقيمًا شريفًا. ولم أره على مدار سنوات طويلة، منفعلًا خارجًا عن طوره، أو متخليًا عن الأخلاق الشيوعية في فترة الصراع داخل اللجنة المركزية اعتبارًا من عام ١٩٧٨ وانقسامها إلى أقلية وأغلبية. وكان أبعد مايكون عن النميمة والاعتياب، فرغم شيوع بعض الأساليب غير الرفاقية آنذاك فلم يسهم فيها ولم يشجع عليها، واحتفظ باحترام الفريقين المتصارعين. وأصر في كل المواقف على التحلي بصرامة مبدئية وفق قناعاته - ولعب دورًا في جميع ماسبق وجوده خارج

البلاد لفترات طويلة مما أعطاه مساحة للنظر عن بعد نسبي لواقع الأحوال. اعتاد أن يزورني في مكمني السري لرؤية صديقه، وزميلته، وأم أولادي البحرينية السيدة هناء الجشي، وقد امتدت صداقتهما لعقود بعد تخرجهما من كلية الإقتصاد والعلوم السياسية. ودائمًا ما كانت مودته تتضمن اهدائي كتابًا، أو قنينة نبيذ، أو شيئًا ما. وتتسع الزيارات دائمًا لما هو خارج العمل الحزبي، فكان يحدثني عن ولعه بالروايات البوليسية، ومتابعته لمسلسل شهير في السبعينات عن حرب الكواكب، وأحدثه عن ولعي بالموسيقى اليونانية والرقص اليوناني وكيف انهما مليئان بالحياة والحيوية.

سعيد العليمي، الحوار المتمدن^٢

على ٨٧ بنعمل المؤتمر الأول لحزب العمال. احنا تنظيم سري، كان دايماً المفروض في اللائحة إن انت بتعملي كونجرس، وهو اللي بينتخب اللجنة المركزية. أما كُنا نعمل اجتماعات كُنا بنسميها «كونفرانسات»، ودي هي اللجنة المركزية بتختار أبرز الكوادر في التنظيم وبتجمّعهم. يجتمعوا ويأخذوا قرارات زي بتاع ٩٠ - ٩١، اللي هو تم الإطاحة فيه بصالح محمد صالح وفصله من التنظيم. لغاية دلوقتي مش عارف هل القرار ده كان صح ولا قاسي أكثر من اللازم، معرفش. بس هو كان في جزء منه إن هو لعيب كبير واحنا عارفة اللي يقول لك اقطع العرق وسيّحه؟ يعني أيّا كان. دايماً دايماً هتلاقي في لحظات قسوة وانتِ بقى متصورة ان انتِ ثورة يعني، انتِ هتغيري. وايه ثورة اشتراكية! يعني انتِ هتنتهي المجتمع الطبقي اللي بقاله آلاف السنين. فالقضية حامية يعني.

طب وانتوا كنتوا بتسموها ثورة ساعتها؟

اه، من أول لحظة وهي ثورة اشتراكية، من أول ما اتأسسنا، من ٦٩. يعني الوثائق الأساسية التأسيسية بتاعت الحزب فيها وثيقة بأسم «طبيعة الثورة المقبلة» بتتكلم عن إن الثورة القادمة هي ثورة اشتراكية.

وامتى بطلت تسميها ثورة؟

لأ مبطلتش، أنا لغاية دلوقتي بتاع ثورة.

حزب العمال كان فيه كتلة حرجة. يعني أنا أعتقد إن إحنا في لحظة مُعينة كُنا عدينا الألف، ودي

^٢ سعيد العليمي، مرثية للراحل والثورة — هاني شكرالله، الحوار المتمدن، ٩ مايو ٢٠١٩. <http://tiny.cc/q904nz>

بالنسبة لمصر أيامها ايه، ألف! مناظرين حزينين مش متعاطفين. ألف واحد مُكافح، منضبط، يتعامل مع عمل سري. مؤتمر ٨٧ ده كان مؤتمر بانتخابات. عملنا مؤتمرات إقليمية. كان كل مؤتمر إقليمي عليه إنه ينتخب ١٠ مندوبين. لأ سوري، كل ١٠ أعضاء ليهم مندوب، فلو مثلاً المؤتمر الإقليمي بتاع الصعيد في ٣٠ عضو، فينتخبوا ٣ مندوبين للمؤتمر العام، وهكذا. دي أنا فاكرها كويس لإن دي كانت أول تقدير دقيق لعدد عضوية الحزب. واحنا بنتكلم على ٨٧، يعني واحنا في الهبوط الشديد يعني. فكان في عندنا ٥٠ مندوب، اللي هو معناه إن انتِ كان عندك على الأقل ٥٠٠ عضو حتى هذه اللحظة، رغم كل الهجرة وهبوط الحركة. لكن بالدفع الذاتي كده كنتِ لسه عندك ٥٠٠ واحد.

بتيجي التسعينات بقى عقد التحلل والانهييار. رغم إن ييبقى أحد قرارات مؤتمر ٨٧ هو توحيد فصائل الحركة الشيوعية الراديكالية في مصر، قرارات كتبناها أنا وصلاح العمروسي موجودة عندي لغاية دلوقتي. بنبتي عملية توحيدية، إن انتِ تجمعني البقايا: بقايا ٨ يناير، بقايا المؤتمر، بقايا المطرقة، وهكذا. ثم انهيار حائط برلين وتوديع الإتحاد السوفيتي. فدي بتكمل علينا بقى، رغم إن احنا منتقدين الإتحاد السوفيتي من زمان وعندنا موقف very critical [نقدي جداً] لكن بردو لسه في حاجة مكنتش خالصة. فبيعمل أزمة فكرية عنيفة في الحزب، وبتبتي مناقشات عبثية في اللجنة المركزية أنا فاكرها يعني.

أنا ماركسيتي أعدت صياغتها في أعقاب انهيار حائط برلين. ابتديت اقرا حاجات. تقليد تروتسكي كله كُنا مستهينين به كده، بنعتبرهم الشيعة بتوع الحركة الشيوعية. وهم فعلاً كده بس يعني ايه، الشيعة حلوين. الشيعة ممكن يقولوا كلام حلو. اشي دويتشر على تروتسكي شخصياً.

المهم، فعلتِ هزة عنيفة. في نفس الوقت انتِ بتحاولي تنفتحي على العالم، عايزة الناس تخرج برا. NGOs؟ ناس تروح NGOs. تجمع؟ ابعتي ناس التجمع. ده أحد القرارات بردو على أساس إن هو مفيش تنظيم فممكن يكون ده مفيد للارتباط بالحركة الجماهيرية. اللي يخش التجمع يتحول لتجمعي، اللي يروح الـ NGOs يتحول لـ «NGOy». كله بيروح مبرجعوش. انتِ المفروض بتبعيتهم علشان يجيبوا معاهم ناس، مش يجندوا بالذات بس يأتروا في حركة جماهيرية. المهم بيروحوا مبرجعوش. فرغم الوحدة أنا مثلاً دلوقتي متشكك هل كانت صح ولا لأ. الله أعلم يعني، بصراحة أنا دي مش حاللها. أنا فترة التسعينات دي بالذات مش قادر أفك مفاتيحها، وعندي إحساس عنيف بالذنب، لإن زي ما يقولوا بالإنجليزي كده الحزب خلص on my watch. تقولي لي كان المفروض تعمل ايه مختلف، أقولك مجرد إن أنا أشتغل أكثر؟ معرفش. احتمال. جايز كانت تفرق شوية يعني، لكن معتقدش كانت هتفرق كثير.

هي دي نفس الفترة اللي بيطلعوا فيها الاشتراكيين الثوريين. فانتِ عندك أزمة فكرية وهم جاينين بالحل في أنبوبة. يعني احنا الاتحاد السوفيتي طول عمره من أول ستالين وهي رأس مالية الدولة، فطبيعي كان إن انتِ حتى القليلين جدًّا اللي بيرتبطوا بالماركسية الفترة دي مش هيجوا عندك لأن انتِ قاعدة عمالة تتساعلي، وهيروحووا لي عنده يقين.

طب ومفكرتوش تضموا على الاشتراكيين الثوريين؟

معتقدش، لا احنا ولا هم. أنا فتحت معاهم حوارات كتير. اللي بيشتغلوا معايا في «بالأحمر» دلوقتي تقريبًا ثلاث تربعهم اشتراكيين ثوريين، من هذه الطائفة أو ذاك، يعني معنديش موقف يعني، لكن... هو العداوة جت منهم مش مننا. أولًا عنده خط مكتوب بالفعل، وانتِ بتحولي تبلوري فهم جديد لايه اللي حصل. بس في الآخر انتِ بتتكلمي على أعداد قليلة من الناس، مفيش فوران يعني.

انتِ في السبعينات الشباب المثقفين بيتحولوا تلقائيًا للماركسية. زي ما قلنا، فيتنام، ثورة فلسطينية، تشي جيفارا، حركة اليسار في أوروبا، ألمانيا وحركة ٦٨، السينما كلها، جودار ومش عارف ايه. يعني انتِ في لحظة العالم كله حادف يسار، دول جاينين في لحظة مفيش. التسعينات دي لحظة موات في كل حته، ولحظة انتصار رهيب للبرالية الجديدة والفكر الليبرالي عمومًا. حتى في التسعينات هتلاقي ليا كتابات إن ماعدش في مشروع يساري مستقل في مصر، وإن اليسار بقى ينقسم ما بين التأثيرات الليبرالية وتأثيرات قومية إسلامية. وإن ممكن نفس التنظيم أو نفس الشخص يبقى يوم ليبرالي ويوم قومي إسلامي، يعني على حسب الظرف. لكن إن في حاجة مستقلة بصوت مستقل لليسار، معتقدش إن في.

أنا بصيت لقيت الحزب بيختفي من حواليا، بيدوب من حواليا، لغاية ما وصلت في لحظة خلاص. يعني مفيش قرار حتى، مش قولنا قرار بقفل الحزب. وكنت حاسس إن اللجنة المركزية، الكدر اللي أنا نشأت واتريت معاه تقريبًا كله اختفى، واللي فاضلين شوية من التنظيمات الأخرى اللي أنا مفيش لغة مشتركة بينا. ومفيش حركة، مفيش كدر، مفيش حركة جماهيرية، مفيش حاجة... بس.

على ٢٠٠١ أنا فاكر كان آخر إصدار صدر بإسم حزب العمال. كان عدد «انتفاض»، اللي هي الجريدة الجماهيرية بتاعتنا. كان عندنا «انتفاض» وعندنا «شيوعي مصري» وعندنا «الصراع»، اللي هي الجريدة الداخلية. ممكن أبقى أفرجكم مرة عندي، شاييل كُتل ورق.

طب انت مفكرتش ساعتها تنضم للاشراكيين الثوريين؟

هقولك، أنا مرة كُنا معزومين على العشا عند واحدة كانت أياميها my girlfriend. فكان عندي أمير هنا في المهندسين وهم ساكنين يعني عالناصية كده. فبقوله: "يلا مش هنروح لماجدة؟ ماجدة عزمانا على العشا." فأمر قال لي: "لأ أنا مش رايح، ثم أنا متعزمتش!" ده موقف من الاشراكيين الثوريين. كان صعب جدًا أرتبط بيهم تنظيميًا يعني لأن ليا تحفظات كتيرة على العلاقة بإنجلترا، وعلى موقفهم من الإخوان المسلمين بالذات، مختلف معاه تمامًا يعني. فكرة تنظيم إصلاحى وبتاع أنا معتبرها بدعة سخيفة أصلاً، ومستوردة كمان يعني للأسف. في الآخر بعترهم رفاق مناضلين وبشتغل معاهم طول الوقت يعني بس كان صعب قوي إن أنا ... على طريقة أمير: أنا مش رايح ثم أنا محدش عزمي كمان. رغم إنهم كانوا مهتمين جدًا بالتجنيد من حزب العمال بس أنا بالذات كانوا دايمًا يعني بعيد عني.

بس بتيجي حركة كفاية. أنا طبعًا أياميها كنت منغمس في الصحافة، في الأهرام ويكلي ثم الأهرام أون لاين. حركة كفاية بتعامل معاه من أول لحظة بشك. طبعًا أنا رأيي إن أنا كنت غلط لإنها عملت حاجة. بس هي اتفتح لها أبواب كانت مقفولة قبلها بسنين طويلة جدًا. يعني انتِ كان نزول الشارع ده مُحرم، وكُنا طول التمانينات والتسعينات تخرجي الشارع ويادوبك ويدخلوك تاني. مثلاً في ٢٠٠١ مع الإنتفاضة الفلسطينية وقتل الدرة، وغزو العراق^٤! اللي هي كانت أكبر مظاهرة تقريبًا حصلت من أيام ٧٧ يعني.

وانت كنت بتنزل الحاجات دي؟

كنت بنزل كده بشكل فيه انتقائية شديدة. حاسس إن أنا متنفز لكن عارف إن نزولي ملوش تأثير. أنا واحد فرد من أفراد، يعني مش مرتبط بتنظيم، لكن أنا غاضب. مشهد قتل الدرة ده، أنا كنت شايفه شبه حسام، وكان نفس السن تقريبًا، فحصل identification رهيب. إن أب يتقتل ابنه قصاده، فحضنه، شئ مُروع يعني.

لكن منزلتش في ولا حاجة بتاعت كفاية. أنا دُعيت قبل ما تتشكل بس مش عارف ليه ركب في دماغي إن دي حاجة شكلها صراع داخلي في النظام نفسه، وطبعًا هي كان فيها جزء كده، بس في الآخر فتحت الشارع. يعني على الأقل قدمت نموذج أعتقد أثر في اللي حصل بعد كده في ٢٠١١. ما كنش في أسبوع تقريبًا بيعدي من غير مسيرة ما في مكانٍ ما يعني، عدة مئات، يكبروا شوية يصغروا شوية. أنا فاك

^٤ Hani Shukrallah, Day of the Chicken Hawks, CounterPunch, April 10, 2003. <http://tiny.cc/r604nz>

- حتى كتبته في مقال يعني- إن كان عماد عطية منغمس خالص، وكان صاحبي خالص يعني. فعمله مظاهرة في شبرا. أنا شُفت الصور شكلها غريب: واقفين مثلاً بتاع ٥٠٠ واحد أو ٦٠٠ واحد متحاطين بكوردونات، دوريات كده أمن مركزي، وبعدين ناس برا واقفة بتتفرج. فأنا الصورة أدهشتني. ففتحت الكلام مع عماد، فقال لي حاجة وأنا اقتبستها. قال لي: "شوف أنا قعدت أبص في وجوه الناس، هل هم وجوه فيها ملامح تعاطف ولا ملامح رفض وغضب؟ أكثر حاجة حسيت بيها إنها دهشة."

انتِ شعب مضروب بالصرمة القديمة. في حاجة بعترها من عبقریات نظام مبارك، اللي أنا كنت بسميه القمع الإنتقائي، إن انتِ المثقفين بتلمسي عليهم. تحبسيهم شوية، يعملوا مظاهرة قدام نقابة الصحفيين فتتحرشي بالبنات، تضري كام واحد، تاخديهم في الاتوبيسات ولا في اللوريات دي وبعدين ترميهم في صحرا، حاجات بالشكل ده. في حين إن في مواجهة الطبقات الشعبية، الفقراء، توحش كامل. دي فترة بقي العقاب الجماعي و يقلعوا الستات ويعلقوها قدام رجالتها، الضرب بالرصاص، التعذيب، إلى آخره يعني. مش بس ضد الإسلاميين، انتِ عندك الحركة الفلاحية اللي كانت ضد تعديل قانون الإيجارات. انتِ على ٩٧ كنتِ رميتي مليون فلاح في الشارع، اخديتهم من أرض بقالهم ييفلحوها أجيال. فالناس شايفة ناس بتشتتم أكبر رأس في الدولة. يعني انتِ ممكن تبقي ماشية في الشارع وشكلك ميعجبش ملازم وتتعذبي حتى الموت، وفي نفس الوقت دول عمالين يقولوا يسقط حسني مبارك، أكبر رأس في الدولة، ومحدث بيعمل معاهم حاجة قوي يعني. متساين.

فبقول لك أنا كنت حاطط همي في الكتابة بصراحة أيامها. مَنيش في تنظيم، ببص لكفاية بنوع من الشك. طبعاً أما بتبتدي تتكرر كويس، فأنا شايف إنه حاجة إيجابية، بس يعني مش شايف إنها حاجة أنا أقدر أعمل فيها فرق. وأنا على فكرة لا أعرف أهتف ولا أعرف أضرب طوب. طول عمري يعني. ده من وأنا في عز ما كُنا في رئاسة الحركة الطلابية.

يعني أنا فاكِر في ٧٣، كان الإعتصام خلص وخرجنا الشارع والبوليس ضربنا ورجعنا على الجامعة وابتدا تبادل إطلاق الطوب والغاز المسيل للدموع. الأمن المركزي برا الجامعة واحنا جوا الجامعة. العيال بيضربوا طوب. وعيال حريفة يعني، فتلاقي الطوبة فوووووو، وتيجي قنبلة الغاز دي فيروحوا ماسكينها ويروحوا رامينها تاني، الحاجات اللي انتوا شوفتوها بقي بالهبل بعد كده في ٢٠١١. فأنا المفروض زعيم يعني والناس كانت معلقة صوري واسمي لإنهم كانوا متصورين إن أنا اتقبض علي، قلت عيب ان أنا أقف أتفرج فروحت شایل طوبتين وماشى رايح أقرب من سور الجامعة عشان أرميهم. فرميت أول واحدة جت قدامي مثلاً بخمسة متر، تاني واحدة قدامي بأربعة. وبعدين بصيت

لقيت تاخ تاخ طوبتين دخلوا في الرُكب من الأمن المركزي، فقلت لأنا مليش في الموضوع ده. رocht كسرت مطبعة الكلية، جبت العيال وعملنا عارفة الحاجات بتاعت أفلام العصور الوسطى دي؟ جنبنا زي جزع شجرة كده وكسرنا باب المطبعة وروحنا مطلعينها. وكتبت منشور وروحنا طابعينه. قلت خليني أعمل اللي أن بفهم فيه، على الأقل بعرف اكتب.

بس ابنك أو ولادك بالمعنى الأكبر يعني، اللي هم ولاد أخوك أو ولاد صحابك، كنت بتعمل معاهم نقاشات عن كفاية؟ عشان هم كانوا منخرطين في ده يعني.

بصي أنا كنت دايماً ضد إن الواحد يادّج ولاده. واحنا العيال لغاية فترة طويلة ما كنش ليههم في السياسة خالص وكفرانين منها أصلاً، قرفانين من أهلهم والاجتماعات والخناقات والبتاع. احنا كان بتبقى مذابح في الشقة اللي جنبنا دي. فمن أول الحاجات مع حسام مثلاً، أنا مهتم إن أنا أحكي له نظرية التطور، داروين. وإن أنا أشجعه على القراءة، حاجات بالشكل ده. هو فتح طريقه بنفسه، أكيد عارف أبوه ايه وعارف أمه ايه. بس أنا فوجئت بإن حسام في الميدان. كانت في مظاهرات كده تتعمل فأروح بس ما أشاركش، أروح أحاول أفهم ايه اللي بيحصل يعني. فأنا فاكرو واحدة كان فيها سلمى شكرالله. واقفين العيال، هم كلهم ٤٠ - ٥٠ واحد، وبصيت لقيتهم اتحاوطوا بالأمن المركزي وبيتشالوا وبيتحدفوا في اللوريات، بيتحدفوا بيتحدفوا فعلاً يعني.

وكمنا محبش أوعظ. محبش دور الواعظ الحكيم ده، دي تفسد. لو حد عايز يعرف رأيي هقول له رأيي، لكن إن أنا أتبرع وأتطوع بإن أنا أقول له رأيي لأ. كانت مع حسام دايماً كده. هو شق طريقه بنفسه يعني وجنني طبعاً.

في هذا السياق، أو قبله قليلاً، تشكّلت مجموعة بريدية يسارية ضمت مئات الأشخاص بعنوان "مجموعة التقدم" للتفكير في مساهمة يسارية متميزة في الجدل العام حول النضال الديمقراطي. ولم يتأخر هاني في البناء على إطاره التحليلي المتماسك السابق التعرض له بهدف التفكير النقدي في السياق الجديد وتناقضات القوى الساعية لتغييره. في ورقة طويلة (غير منشورة للأسف) طوّر هاني أطروحته حول مثالب التركيز المفرط على ما يعرف بالقضية الوطنية في صفوف القوى اليسارية وبدأ في البحث عن جذور تاريخية لها تعود لما هو أبعد من الحقبة الأوليغارشية. في هذه الورقة، تحدث هاني عن عبء النشأة المتناقضة لفئة الأقدنية في سياق دمج مصر في السوق الرأسمالي العالمي واستنابات ممارسات تحديثية سلطوية بالارتباط مع هذا

الدمج. بالنسبة لهاني، فالأفندية فئة متميزة وجدت نفسها في موقع متميز عن باقي محيطها دون أن تقارب بأي حال من الأحوال مصادر القوة المركزة في طبقة كبار ملاك الأراضي. وفي الوقت نفسه، فقد لُفحت منذ الولادة بهاجس النهضة واللاحاق بالغرب الاستعماري، مع إدراك عميق لصعوبة المهمة تحديداً بسبب العلاقات الاستعمارية نفسها التي سمحت بتشكيل الأفندية كفئة ابتداءً... في لمحة طريفة يقول هاني في أحد فقرات الورقة "من المستحيل تصور هيمنة إنتلجنسيا تفتقر للحد الأدنى من الإنتلجنسيا!"

هذا العطب المؤسس لدى هاني يستمر مطاردًا بأشكال مختلفة تصورات الأفندية عن مسألة الديمقراطية وصولاً إلى حراك ٢٠٠٥ الذي تصدت له وجوه تلك الفئة سواء في جناحها الاسلامي أو اليساري أو اليساري/القومي والاسلامي/ القومي. وهذا العطب هو ما يقيم أسواراً صينية بين الإنتلجنسيا اليسارية وجمهورها المفترض ويجرها جرّاً إلى استراتيجية "سلام نقابة الصحفيين" والرهان الدائم على تشققات وصراعات مفترضة في جسم الطبقة الحاكمة ويختزل دورنا في الانحياز إلى هذا الطرف أو ذاك. ناهيك بالغرام بما أسماه "تكتيك يسقط - يسقط" أو التمسك الغريزي بتصور عن التغيير يحدث بالضربة القاضية عبر بضع تظاهرات حاشدة تقودها فئة مخلص ومؤمنة حقاً وصدقاً بمجموعة من المثل العليا بلا تصور دقيق عن طبيعة الصراع الطبقي ومهامنا فيه. بالطبع من المشروع الآن إثارة الكثير من علامات الاستفهام النقدية حول رؤية هاني وربما وصفها بالاختزالية في بعض جوانبها. ولكن يحسب لها بالقطع نقل الحوار حول معضلات النضال الديمقراطي في هذه المرحلة إلى نقطة أكثر عمقاً والتنبيه لمزالق رأينا نتائجها المرة بعد ٢٠١١ مع تفجر الجدل الهوياتي المسموم الذي جرّ قطاعات من أكثر المخلصين والمتحمسين إلى المبادئ الديمقراطي إلى زواريه.

عمرو عبد الرحمن، مدينة^٥

يوم ٢٥ يناير كان جاتلي أزمة قلبية قبلها بحوالي ١٠ أيام ولا أسبوع، أتعلم قسطرة. قاعد بستشفى في البيت، ممنوع من إن أنا أنزل الشغل. فبتيجي الدعوة بتاعت التظاهر في يوم الشرطة ضد الشرطة. لاء، استني. خيلنا نمشي بالتدريج.

أول حدث يبقي إسكندرية، خالد سعيد. فبحس لاء في حاجة جديدة بتحصل. حاجة تانية استقبال اللي أنا بعتره عبيط -أخونا بتاع نوبل ده، اسمه ايه؟- البرادعي! اه، استقباله في المطار. بعدين ٣١

^٥ عمرو عبد الرحمن، هاني شكرالله: الخروج من المخزن — محاولة لإعادة بناء جزء بسيط من صورة مناضل مصري،

ديسمبر ٢٠١٠، القديسين. نكون احنا المفروض رايعين علشان رأس السنة في رأس سدر عند هالة، شلة كده. وأنا كانت أصلاً نفسي مسدوده، ما كنتش في ابتهاج شديد أصلاً، ولا رقصت ولا بتاع. وانسحبت بدري، رحت على الاوضة بتاعتنا إذا بيجيلي تليفون حصل كذا كذا. فقعدنا أنا وفؤاد -اللي كان مدير التحرير بتاعي- وسلمى شكرالله على التليفون على ازاي نغطي التفجير اللي حصل في القديسين. وقعدت سهران طول الليل أكتب في مقال اللي هو اتنشر تاني يوم الصبح، اللي هو "J'accuse".^٦ ده أكثر مقال أتقريء ليا في حياتي غالباً، اتشير في مليون حته. آخر فقرة في المقال ولا آخر جملة بقول فيها إن احنا اختياراتنا مهياش بالفقر بتاعت إن احنا نلجأ وأمريكا ولا نقبل بالمذابح، وإن احنا المفروض نبقي فينا العقل والإرادة اللي تخلينا نعمل خيارنا احنا، حاجة بالشكل ده. دي ناس كتيرة بعد كده لما حصلت ٢٥ يناير قالوا لي انت تنبأت بـ ٢٥ يناير. أنا طبعاً مكنتش متنبأ خالص!

الدعوة لـ ٢٥ يناير أنا سامع بيها ومعتبر إن هي هتبقى بشكل كده في ضجر وغضب ومتضايق على العيال ومتضايق منهم. لأن أنا عارف العيال هيتضربوا وهيتحطوا في اللوريات. أنا متخيل سيناريو يعني، اللي هو السيناريو المتكرر من أول الألفية الثانية وانت طالع: هيطلعوا ٥٠٠ - ٦٠٠ واحد، هيتحاوطوا بأضعافهم من الأمن المركزي والبلطجية. أنا شوفتها بعيني، كنت بنزل يعني حاجات، أتفرج حتى. فده كان توقعي.

وبعدين قاعد بقى، فاتح الجزيرة، تدريجياً كده ابتديت أحس لأ دول ناس تانية. دول مش احنا، احنا حتى بأجيالنا المختلفة. طبعاً أفتح التلفزيون المصري الاقي الصورة اللي تحت الكوبري دي، وأنقل على الجزيرة. تيجي فاطمة تسألني: "نودي البنات المدرسة ولا لأ؟" قلت لها: "بالقطع لأ، أنا أعتقد إن إحنا قدام ثورة." فالفرق ما بين أنا صاحي ازاي وباجي بنهي الليلة ازاي، وكان لسه ٢٨ يناير ما حصلش، لكن أنا حسيت لأ ده في شئ تاني خالص بيحصل. أظن على يوم ٢٧ كنت راجع الجورنال قلت يحصل اللي يحصل، أموت أموت مش فارقة خلاص. ما ينفعش إن أنا أقعد في بيتنا ويبقى في ده شغال، بس بسرعة جداً يبقى مُدرك إن دي ثورة بتاعت جيلها وخيال مش بتاع جيلنا.

الواقعة اللي كانت بالنسبالي فاصلة في الموضوع ده -أنا أولاً معنديش تنظيم، معنديش انتماء تنظيمي، فهأثر ازاي؟- قال لك نعمل اجتماع ليسار، عملوه في حزب التجمع. فالمفروض في عشرات الآلاف، إن لم يكن ربما مئات الآلاف جنبك في التحرير. حزب التجمع على الناصية يعني. فإنك تلاقي الحزب اليساري فاضي هُوو، وفي الأوضة اللي كان يتعمل فيها الاجتماعات -الأوضة اللي جوا دي بتاعت رفعت سعيد- في بتاع ٥٠ واحد من أجيال مختلفة غير جيلكم، أجيال العواجز يعني. أنا

^٦ Hani Shukrallah, J'accuse, Ahram Online, January 1, 2011. <http://tiny.cc/3114nz>

قعدت مبعثش مصدق نفسي. الناس قاعدة عمالة تلت وتعلن، يا أخوانا ده في ثورة، في ثورة شغالة برا وانتم مش انتم اللي عملينها! والله تشكروا لو يعني قلتوا احنا مهدنا احنا عملنا. بس في حاجة فيها خيال مش بتاعكم، مش بتاعنا، ولا أنا، يعني بما فيهم أنا. وواحد من اللي قاعدين يقعد يتكلم مثلاً نص ساعة إن احنا الثورة الديمقراطية خلاص انتهت وعلينا ننتقل إلى الثورة الاشتراكية. انت مين؟ انت ملكش نفوذ على أي حد، مأثرتش في حد.

وبعدين أظرف حاجة اللي أنا لقيتها قمة الكوميديا في الموضوع إن قال لك نطلع بيان. قعدوا يتناقشوا في البيان يبقى فيه ايه ومين يكتبه ولجنة صياغة، فأنا قلت لهم معلش انتم معاكم مطبعة؟ قال لك لا المطبعة مقفول عليها. عايزين تطلعوا بيان وفي على الأقل ١٠٠ ألف جنبك، إذا ما كنش أكثر، على بُعد يعني ٥ دقائق مشي؟ وما عندك مطبعة وعمال تتناقش بقالك ساعتين البيان يبقى فيه ايه؟ فأنا قلت انتم منيلين بنيلة، سيبوا الشباب هم اللي عملوا الثورة دي هم اللي يمشوا بيها. اللي قررته بقى ما بيني وما بين نفسي -أنا رئيس تحرير الأهرام أون لاين في هذه اللحظة- اللي أقدر أعمله إن أنا أحول الأهرام أون لاين للمنبر الخارجي للثورة المصرية. بكتب يوميًا تقريبًا، مقال يومي تقريبًا غير التغطية، وبيع ناس، ومعايا أميرة هويدي وكل العيال.

وطبعًا في الأهرام ساعتها كان الكل مهزوز، محدش عارف، وأنا عندي مطلق الحرية تمامًا. احنا كنا طلعنا عند انتخابات مجلس الشعب بتاعت ٢٠١٠، أنا أصريت. كان معايا أميرة وفؤاد هما مديرين التحرير، قلت لهم لازم نطلع في الانتخابات، قالوا مش جاهزين، وتقنيًا وضعنا وحش ومش عارف ايه. قلت لهم احنا في بلد مفيهاش سياسة أصلاً، والصحافة من غير سياسة ملهاش قيمة، فبالتالي على الأقل انتخابات فيها حاجة تغطي. فطلعنا ابدر من اللازم عشان نغطي الانتخابات. احنا طبعًا قاعدين شغالين فضايح يوميًا، كله objective journalism [صحافة موضوعية] بالمسطرة يعني، بس بنبع ولاد يروحوا في الحت اللي فيها الضرب والتزوير وأنا بكتب المقالات بتاعتي.

فإذا يجي يوم في عز الانتخابات، أبص ألاقى -كان اسمه ايه رئيس تحرير الأهرام؟- المهم قالوا لي فلان واقف على الباب بتاع الأهرام أون لاين عايزك. فخرجت. "يا هاني، انتم بتعملوا ايه؟ أنا لسه العدلي قافل معايا وييقول لي الأهرام أون لاين بتاعكم حول الانتخابات لفضيحة والمراسلين الأجانب يمشوا على كلامه، فيقول لهم في تزوير في الحتة الفلانية أبص ألاقى المراسلين الأجانب رايعين على هناك. يا هاني مينفعش كده!" فقلت له لا طبعًا هنعدي. ودي طريقي طول عمرها وأنا بشتغل في الأهرام يعني، سواء الأهرام ويكلي أو الأهرام أون لاين، إن أنا أقول "اه، لا، اوك." دخلت، فؤاد

وأُميرة منزعين جدًّا: ”طب يعني أعمل ايه وبتاع؟“ قلت لهم هنتصرف زي ما احنا عايزين، زي ما كُنا. هنكمل زي ما احنا شغالين تمامًا ولا كأنه قال حاجة. سيبولي أنا الموضوع ده.

مكالمة من عبد المنعم سعيد، كان رئيس مجلس الإدارة، كان صاحبي أيام الحركة الطلابية، كان يسار أصلًا. تستغري اللي كانوا يسار وأزحوا. المهم قلت له: ”جيبلي انترفيو هعمله أنا شخصيًا مع عز، عايزين أكثر من كده ايه؟ احنا بنغطي أخبار، بنغطي الأحداث زي ما بنشوفها. عايز تحط رأي مختلف جيبلي حوار مع أحمد عز وانا هعمله بنفسي.“ حاول وبعدين لقيته بيكلمني، قال لي طب ما أنا من قيادات الحزب الوطني وعز عمال يديني طنash، ايه رأيك تعمل معايا أنا انترفيو؟ رحت عامل انترفيو ونشرت الأكاذيب بتاعته. وأنا عُمرى ما بزيّف في الإترفيوهات ولا بغير فيها. حطيت كلامه زي ما هو، حتى بفصاحة أكثر. وبقية الشغل شغالين زي ما احنا.

بعد كده بقى بتخشي في لحظة محدش عارف السلطة فين. لما تبص على مقالاتي في الأهرام أون لاين في الفترة دي، فُجر يعني، وهجوم على المجلس العسكري وسخرية منه. بنغطي كل حاجة. وكنت بنزل التحرير يوميًا. بس بنزل في الآخر فرد، وسط ٢٠٠ ألف ولا ١٠٠ ألف ولا بتاع، مجرد بني آدم. أنا فاكّر مرة نزلت وغوّط في الميدان كده، كانت لسه بدري. مكتش الكثافة عالية قوي فدخلت، وقاعد بتمشى جوا الميدان بعدين تدريجيًا دِب، دِب، دِب، دِب، لقيت مش عارف اخرج. والقلب بقى وحسيت إن أنا هموت مش من إن في حد بيضربنا بالرصاص ولا أي حاجة، أنا هموت لإن أنا مش عارف أخرج من وسط الاكتظاظ. كانت حاجة فيها شئ مُذهّل.

الحاجة الثانية اللي دخلت فيها لإني دُعيت أشارك فيها وشاركت فيها لإن زياد العليمي اتصل بيا هي لجنة الحكماء. ماعرفش تفتكروا دي ولا لأ. شلة عواجز كده إنما ايه، شدّاذ آفاق، يعني من كل جنيّة وردة، حاجات غريبة كده. اللي سفير سابق واللي وزير سابق. أنا كان همّي استخدام اللجنة دي أولًا لإعلان تأييد. وفعلاً نجحنا في إننا نخليهم يكتبوا إعلان تأييد الثورة وهدفها والمطالبة برحيل مبارك، وإنهم ممكن يساهموا في التفاوض. طبعا ماكنتش واخد بالي، أو اللي أدركته في النص يعني، إن بيتدي تأمر بقى. فأيامها زياد العليمي اتصل بيا وقال لي: ”ائتلاف شباب الثورة عايزين نقعد مع لجنة الحكماء ونفوضها تتكلم باسمنا احنا مش عايزين نتفاوض معهم مباشرة. عايزين اللجنة هي اللي تتكلم باسمنا، بس تبقى معرّضة لمحاسبتنا، يعني يتقال لنا كل حاجة تمت ونقول نوافق أو منوفقش.“ وجم فعلاً يجي ١٠ شباب، بما فيهم شباب الإخوان، اللي بعد كده سألت عليهم حصلهم ايه طلّعوا إنهم خرجوا مع أبو الفتوح، اللي هم العيال الحلوة يعني.

فشلة العواجز اللي أنا قاعد معاهم قاعدين منبهرين لأنه الولاد كانوا بيتكلموا بدرجة من الـ sophistication [التعقيد]، واثقين من نفسهم ومحترمين نفسهم. بس طبعًا ابتدا بقى لعب. وأنا أبتدي أبقا بشكل متزايد يعني -لو تبص على مقالاتي في الأهرام أون لاين في الفترة دي- من الإحتفاء الصاحب بالثورة ويابداع الشباب وشجاعته ومش عارف ايه، بس في نفس الوقت ابتديت بقى كمان ابقى نقدي. هتلاقي نبرة النقد بتزيد مع المقالات. فين يا اخوانا، مبتعملوش تنظيم ليه؟ ده احنا كل انتفاضة كُنا نطلع فيها: في ٧٢ نقول اللجان الوطنية، ٧٣ نقول لجان الدفاع عن الديمقراطية، ٧٥ نقول التجمع الوطني الديمقراطي. وده كان قبل التجمع، سرقوا مننا الأسم أصلًا. وطبعًا السادات شخصيًا لما عمل الحزب الوطني الديمقراطي بردو سرق كلمة التجمع الوطني الديمقراطي دي، احنا خلقناها أصلًا.

المهم، السؤال ازاى مبتعملوش تنظيم؟ ازاى مبتعملوش إعلان مبادئ؟ حاجة زي الوثيقة الطلابية كده. مجرد قول أنا مطالبي المُلحة ١ - ٢ - ٣ - ٤ ... ١٠ - ١٥ مطلب وخلصنا. أنا فاكركان في ٩ حاجات كده. بس أبص ألاقى فكرة التنظيم مش مطروحة، وجيل أساسًا متمرد على التنظيم، متمرد على إن أي حد يبقى قيادة ومش مستعد إن يبقى حد يُمثله. وده اللي كنت بسمعه من حسام نفسه كمان، وبالنسبة لحد من جيلي، ده شئ غريب، غير مفهوم. احنا كان دايماً أول حاجة بنفكر فيها هي تنظيم جماهيري، وإن التنظيم ده بيقوم مش على أيديولوجية ولا بتاع، على برنامج سياسي مكثف مختصر.

أبص ألاقى إن مفيش ذكر للريف. ثورة مدينية، اه، مفهوم، على عيني وعلى راسي، الفلاحين برا الموضوع. لكن يبقى أهم حاجة إنك تكسب الفلاحين، ده من أيام روبسبير ودانتون وبتاع. يعني أول حاجة تعملها، علشان أما تعمل ثورة هي في معظم الأحوال بتبقى حضرية مدينية -غير طبعًا في شرق آسيا وأمريكا اللاتينية وبتاع، النموذج مختلف- بس احنا الثورة المصرية كانت ثورة حضرية. طب الريف سايبينه احتياطي للثورة المضادة؟! وهو فعليًا اتحول لاحتياطي الثورة المضادة، وياه بالتصويت!

انت لما تبص على المرحلة الأولى من انتخابات الرئاسة -احنا قعدنا نغطيها في الأهرام أون لاين بالأرقام، عملنا جرافات وبتاع- تلاقي القاهرة واسكندرية انتخبوا حمدين صباحي، الصعيد مرسي (بالتقريب يعني)، الدلتا شفيق، وهكذا. وأنا فعلاً بقى كنت أروح الصعيد، الناس مش فاهمة ايه اللي بيعملوه بتوع المدن دول ومُعتبرينها قلة أدب، وبيتحشدوا كالعادة. أصلًا هم دول ما بيتخبوش، هم بيتحطوا في عرييات وبيتأخذ بطايقهم، اللي هي حاجة لغاية دلوقتي اليسار الناصري

مش عايز يفهمها مش عارف ليه، رغم إنه شافها قدامه ٥٠٠ مرة.

مرة مثلاً، انتخابات ٨٤ و ٨٧، كُنا ابتدينا نتعاون مع التجمع (أنا عُمري ما دخلت). نيجي في الانتخابات فنعمل قوائم مشتركة -أيامها كانت قوائم- أو نِدسّلنا واحد ولا اتنين في قائمة التجمع، وننزل نشتغل بشكل يومي. فإكر حتى انتخابات ٨٤ دي كنت أنا وعماد عطية ننزل الساعة ٦ الصبح ولا ٥ الصبح عشان نروح قدام مصنع سجائر بتاع ماتوسيان، كُنا في قائمة الجيزة، نوزّع منشورات. في المرتين كنت ببقى مراقب جوا اللجنة باسم الحزب، فكانت اللجنة اللي بقعد فيها هي اللي أنا تبعها، اللي هي هنا في المهندسين، مدرسة كده بعدنا بشوية. انتِ في المهندسين اللي هي طبقة وسطى وأساساً مهنين يعني، اشي محامي، اشي مهندس، حاجات كده. فتُقعدني طول النهار ما بيخشش تقريباً غير بنطلونين ثلاثة، الباقي كله جلابيب. كله جاي محشود من ميت عقبة ومش عارف ايه، متجاين! ودول بيتجابوا مش بيتنخبوا! هم جاين متجاين بالعلاقات الأسرية. المهم يعني أيّا كان. اتفرعت في حاجة ملهاش علاقة بكلامنا.

بس بردو لو هتقرأيلي من ساعتها حتى يومنا هذا فهتلاقي في جمع بين الحاجتين: الإعجاب الشديد بالبطولة والشجاعة والنزوع للحرية وأنا رأيي في حاجة تاريخية حصلت خلاص مش هتترد. أنا بلاقي كل الأجيال الأصغر في حالة إحباط عنيفة. أنا دايمًا في حالة تفائل مستمر رغم الكاكا اللي احنا بنشوفها طول الوقت. أنا المفروض عشت لي سنتين تحت الملك فاروق بس أنا مكتتش أعرف أي حاجة أياميها، فمقدرش أحكم على الملك فاروق. لكن عشت تحت عبد الناصر، السادات، تحت مبارك، تحت مرسي، ما شفناش حاجة بالبشاعة، والقسوة، والوحشية، وعدم الكفاءة، والهبل، والعته اللي شفناه من ٣٠ يونيو حتى يومنا هذا، أنا بقولها علنًا على فكرة. لكن مع ذلك أنا حاسس إن اللي حصل في الثورة لا يُرد. الناس تُحبط وبتاع لكن بقى عندك جيل، أو على الأقل في عشرات الآلاف من الشباب اللي هو تجربة الثورة والقيّم بتاعتها جواهم ومش هتروح. وعشان كده دايمًا اللي شاغلني القراءة.

وبعدين جيلكوا بقى في كمان موهبة أنا بالنسبالي بنبهر بيها طول الوقت، ومتنوعة قوي وغنية قوي. لكن طبعًا في كمان حمورية تنظيمية سياسية مذهلة: أنا مني لتويتر وفيسبوك، فكرة التنظيم دي مش في دماغ حد. بس بقول لك قراءة تجربة الثورة نفسها، إعادة قرائتها مهم عشان الناس تفتكر، حتى يعني تفكر روحها.

انت عارفة أنا في اقتباس كده دايمًا أخده بتاع People's History of the United States^٧
 "The memory of oppressed people is the one thing that cannot be taken from them,
 and so long as this memory lives on, revolution is an inch below the surface."
 فأنا ده عقيدتي.

تعرف تترجمها؟

"ذاكرة الشعوب المقهورة هي الشئ الوحيد الذي لا يمكن انتزاعه منهم، وطالما بقيت هذه الذاكرة
 تبقى الثورة بمقدار بوصة واحدة تحت السطح." اسمه ايه يا اخوانا الراجل؟ هوارد زن، مؤرخ بديع
 على فكرة يعني أنا أنصحكم بقراءة الكتاب ده.

طب احنا كبرنا من غير تنظيم. انتم اللي كبرتم بتنظيم. انتم ليه معملتوش حاجة؟

بصي احنا ذنبنا قبل كده، احنا لحظة ٢٠١١ مكناش نقدر نعمل حاجة، لأن دي فعلاً انتوا اللي
 صنعتوها، جيلكم اللي صنعها، بخيالكم. بقول لك أنا قاعد يومئذ الصبح بقول ده هم ال ٥٠٠ لما
 تتمعظم، وهيتلموا ويترمو في اللوريات وياخدوهم يرموهم في الصحرا وخلصت. على بليل بقول دي
 ثورة. مش إنها ما جتش بلا مقدمات بس في خيال كان مختلف خالص، وده شئ حلو مش وحش. قلت
 لك اجتماع اليسار العواجز -اللي هو اشي عمال على حزب شيوعي على ٨ يناير على مش عارف ايه-
 محدش طرح فكرة التنظيم. ما هو أعلى ما في خيله هو إنه يعمل بيان، وما عندوش مطبعة يطبع
 بيها البيان! اللي هو مش المفروض هتوزعي منه ١٠٠ نسخة، المفروض هتوزعي على الأقل ١٠٠ ألف
 نسخة.

أنا عارف إن كان في ناس من الكبار موجودين في الميدان طول الوقت. انا كنت بتفصح كده يعني، أنزل
 عالميدان أقعد ساعة ولا بتاع وأرجع الجورنال. مثلاً في الذكرى الأولى لمحمد محمود، نزلت أشوف ايه
 اللي بيحصل. شفت مشهد كأني بتفرج على فيلم من أفلام هوليوود بتاعت العصور الوسطى. فالأمن
 المركزي قاعدين متحصنين جوا مدرسة وقافلين على روحهم بعد المذبحة اللي عملوها -مكسوفين
 بقى- والعيال عمالين يجروا ويضربوا بطوب على المدرسة، ومش مؤثر قوي، لإن دوكلهم قاعدين
 متحصنين فعلاً. كأنك بتتفرجي على قلعة مُحصنة والهجوم من برا. بيضربولهم مثلاً كل شوية قنبلة
 مسيلة للدموع بس كله في الرُقَيْق يعني. المهم أظرف حاجة بقى، أنا جاي داخل شكلي مش بتاع

القاعدة، شكلي غريب. فجاتلي بنت قزعة كده، بتاع ١٨ سنة ولا حاجة كده، وشكلها working class [طبقة عاملة] خالص، لبسها وشكلها وبتاع. فهي اعتبرت إن أنا... عارفة اما تتعامللي كده مع سائح أجنبي؟ فهي بتحكي لي بقى، بتقول لي: "دول هم قاعدين في مدرسة واحنا مطلعين دين أبوهم، ولا يهملك، احنا نيكنهم".

فأنا فاهم، وأنا على فكرة لما بعمل قراءة نقدية للثورة ما بيقاش بنتقد حد بعينه، لإنه انتم ولاد جيلكم، وولاد ثلاثين سنة -يعني من قبل ما تتولدوا حتى- من انتهاء السياسة في مصر. واحنا جيلنا وقع. احنا فين خطأنا... خطأنا في مرحلتنا. احنا ماسلمنكوش تراث، ما عشناش علشان نقدر ننقلكم ذاكرة ما.

أنا مثلاً شايف إن محض جنون إن انتِ تعملي ثورة بهذا الحجم وبهذه الإستمرارية وإنك تخرجي منها بتقولي تعديل دستور. سوري يعني، أنا بالنسبالي كان أcha. تعديل دستوري ايه وهباب ايه! أول حاجة، أنا عملت ثورة وبأسقط رئيس دولة، أعمل حكومة، حكومة مؤقتة اسمها، ده في كل ثورات التاريخ. حكومة مؤقتة تتشكل من الميدان، مش هقول إن مبارك يستقيل وأروح. أقول مبارك يمشي ويجي مكانه حكومة متشكلة من كذا، وكذا، وكذا، وكذا علشان تعمل كذا، وكذا وكذا، وكذا. بس دي أنا رأيي إن الكبار كانوا أنيل من الشباب. الكبار أخذوكم في متاهات أصلاً، تعديل الدستور أقصد. أنا كانت سيكاديليك بالنسبة لي الخناقة بتاعت ال٧ - ٨ مواد اللي عدلوا بها الدستور دي.. اللي هي أصلاً كانت صفقة بين الإخوان وبين العساكر واحنا قاعدين نتخانق نوافق ولا نعترض. وأنا أعرف رفاق راحوا قالوا اه، ودافعوا عنها، شركاء في الراديكالية الجامدة يعني. أنا بالنسبالي ده حماقة يعني. مع كل احترامي وتقديري للبرادعي، أنا أحطه على راسي بمناسبة ايه؟ ويبقى ده رمز الثورة المصرية؟ واحد كل ما يزعل يجري على فيينا ولا جنيف ولا أنا عارف، ما نزلش الميدان يوم. ايه في ايه يعني!

أنا بقول لك في حاجات بالنسبالي كانت مُحيرة، رغم إن أنا فاهم أو بحاول أفهم أسبابها، اللي هي مش أخطاء أشخاص، اللي هي حالة كاملة فاجئت الجميع ومحدث جاهز لها. أنا بالنسبالي قراءة التجارب التاريخية هي كده، المهم فيها مش هو إن أنا أقعد أقول mia culpa وأجلد نفسي وأقل إنني أخطأت (انتِ عارفة mia culpa دي لاتيني، بتاعت الكاثوليك لما يضربوا روحهم بالكرياج، الكاثوليك والشيعه). المهم إن أنا استفيد خبرة بحيث إن أنا لما تيجي المرة الجاية، مش ضروري بنفس الشكل، لكن يعني الثورة في الآخر موجات، يعني مفيش شعب يفضل يثور على طول. وأنا رأيي ٣٠ يونيو كانت النفس الأخير لشعب أرهق من الثورة، اللي هو طبعاً مع التآمر الأجهزة وتتمرد ومش عارف ايه، بس

أنا مقتنع إن كان في نفس شعبي حقيقي، بس هو كان النفس الأخير.

ودي من كومونة باريس وانت طالع، الناس بتوصل للحظة بتبقى أرهقت، وبتبقى تجربة الثورة بالنسبائها تجربة فوضى. في الآخر الناس عايزة دولة، عايزة تقدر تمشي في الشارع، عايزة متسرقش. الحد الأدنى يعني، وخاصة في دولة زي مصر. التبعية للدولة رهيبة، ومش الأوليجاركي اللي هم قاعدين يسرقوا مع بعض هم والموظفين الكبار والوزراء والغفرة، لكن الفقراء نفسهم. الفلاح بياخد سماد من الدولة، بياخد كيماوي من الدولة. كلها بتبقى علاقات التبعية دي اللي شغالة من فوق لتحت. ففي لحظة بتتمرد عليا بس اذا مش قادرة تحط محلها حاجة، وبتكلمي، دب، دب، دب، دب، مفيش مكسب واحد. مخدتيش مكسب واحد، انت كل مكاسبك كانت de facto مش de jure!^٨

المكاسب القانونية كانت وهمية. أنا في فترة دخلت فيها الحزب الديمقراطي الإجتماعي، وكانت عندي تخريجة كده إن يبقى في تنظيم جماهيري شعبي واسع مفتوح للكل، واللي بيوحده برنامج ملح بتاع النهاردة، مجموعة من المطالب في الريف وفي المدينة والعمال والبتاع والحريات إلى آخره. لكن الحزب ده ما تمش. في لحظة كده قلت ممكن -لأنه كان أول حزب اتأسس بعد الثورة - الديمقراطي الإجتماعي يبقى الوعاء اللي ايه يبقى في تيارات مختلفة ويعمل حالة جماهيرية كده. في الفترة دي عماد أبو غازي كان وزير. فالمهم كانوا إخوانا العساكر قالوا ايه يعملوا وفود تقابل مجموعة أشي مجلس وزراء على عساكر بردو، حاجة خلطة كده. فبتوع الديمقراطي الإجتماعي عملوا وفد من ثلاثة كده واقترحوا عليا إن أنا أبقى فيه. بس فالمهم قاعدين المفروض هنتفاوض. أنا بتفاوض مع عماد ازاى يعني؟ الموضوع أصلاً كوميدي من الأول. وعماد قاعد مكتئب، فبعد البتاع رحت واخده على جنب كده قلت له في أي حاجة هم هيقدموها؟ أي تنازل؟ قال لي لأ خالص وكل ده هجص وأنا عايز أمشي. قلت له لأ أقعد، على الأقل يبقى في أي حاجة بتزق. ما انت بتحاولي إنقاذ ما يمكن إنقاذه في اللحظات دي.

هل عمرك اتخانقت مع ابنك أو ابنك اتخانق معاك؟

أنا يوم الجمل كنت في الجورنال من الساعة ٧ الصبح، أول واحد دخل الجورنال. ومن أول اللي وصلوا على ٨ - ٨:٣٠ كده واحد كان مراسلنا في الجيش، عنده علاقات مخبرانية وبتاع، بس هو صحفي شاطر يعني. فقال لي أنا جاي لسه من ميدان الجيزة وفي حشود هناك واقفين. قاللي اسم كده رجل أعمال من الأوليجارك الكبار -بنسى الأسامي بس يعني- واقفين بيوزعوا فلوس وهيحصل النهارده هجوم على التحرير، هيفضوا التحرير ويقولوا التحرير خلاص خلص، نخلص عليه. فأنا عارف

^٨ بحكم الأمر الواقع مش بحكم القانون

حسام قاعد هناك، فاعمل ايه؟ وأنا متصور إنهم خلاص، بيحشدوا بهذا القدر وعلى حسب كلام الراجل، ففي مذبحة جاية.

بس فكلمت حسام، وأنا في الأول عايز أقول له خد أصحابك وامشوا. وبعدين قلت أcha، أنا هيجي اليوم اللي أقول فيه لابني سيّب أرض المعركة علشان بتاع؟ بس بقى، دي اللحظة الوحيدة اللي كان فيها خاطر بتاع امشي لكن ما قدرتش أقولها. فقلت له أنا عندي معلومات إن في هجوم هيحصل عليكم قوي جدّا، وبيتحشد له ومش عارف ايه فخدوا حذركم، ده اللي قدرت أقوله. بعديها بكام ساعة نزلت على ميدان طلعت حرب لقيت بقى بادئين العربيات تيجي وتتزل ناس وياه وحاجات بالشكل ده. أنا كنت يوميّا، لما بتحصل المعارك الكبرى يعني، أحاول اتصل بيه معرفش أجيبه طبعًا، وهو يا قافل تليفونه يا معندوش شبكة. فأروح أكلم أمه، تقول: "أنا بردو مش عارفة أتصل بيه، طب هكلم حد من صحابه." المهم في الآخر يعني نعتز فيه. يوم بقى اللي هو أول أيام الإخوان، اللي هو أول مسيرة على القصر الجمهوري والاعتصام قصاد القصر الجمهوري اللي انتم كنتم فيه كلكم يعني، وأنا شايفها على التلفزيون بقى. يمسكوا الولاد وضرب، ضرب، ضرب، ضرب، ضرب، ويسلموهم للبوليس ومش عارف ايه، فأنا كنت هتجنن. ومفيش بقى وسيلة للاتصال خالص، وحاسس إن انتم ممكن تكونوا بتقتلوا، وبتتعذبوا كمان، حتى ياريت بتقتلوا، الرصاصة سهلة.

بصي في مناقشات حصلت بينا وعُمرنا ما اتفقنا فيها، ماعتقدش اتخانقنا يعني بس وهو عادةً ما يتفادى المناقشة معايا. جواني قوي كمان يعني. وأنا كمان مش عايز لما نتكلم في السياسة أبقى في الدور الحكيم بتاع احنا تجربة فاشلة كُلنا، يعني هتفحص بمناسبة ايه يعني؟ أنا اكتشفت إن أحسن طريقة أخاطب بيها الناس وأنا بكتب. أنا سهل اتعصب، الكتابة منك للورقة، للابتوب، اللي يقرأ يقرأ واللي ميكراش ميكراش، هعمل ايه يعني.

في صباح الخامس من مايو بمنزل آل شكر الله، الذي قاوم يد الهدم الهمجية التي شوهت الطراز المعماري لمنطقتي الدق والمهندسين، رحل هاني شكرالله الكاتب والسياسي الذي أنفق جل حياته ساعيًا لأن يكون للسياسة مردود إنساني وأن تكون الصحافة ضوءًا ينفي من الظلمة ولو قدرًا يسيرًا بما يسمح للسائر أن يقي نفسه بعض العثرات.

هاني، كما أصر دومًا أن يناديه كل من عمل معه، كبر أو صغر، حتى وهو في أعلى المناصب على رأس تحرير الأهرام ويكلي والأهرام أونلاين والشروق والتي ساهم في إطلاقها جميعا وأسس

كثيرًا لمفاهيمها الضامنة للابتعاد عن التضليل، رحل قبل نحو شهر واحد من عيد ميلاده الـ٦٩.

رحل هاني بعيدًا عن ردهات المستشفيات التي تردد عليها كثيرًا في السنوات العشر الأخيرة يقاوم بطريقته قلبًا أرهقه الحزن على مآلات أحلام كبيرة وعظيمة انتمى إليها جيل السبعينيات الذي آمن بقوة مصر على الرغم من تحديات اقتصادية وبقدرة الوطن العربي على الرغم من تباينات فكرية وأراد فلسطين حرة للفلسطينيين وأراد وطنًا بلا تعذيب وأملًا للعدالة ومساحات لا نهائية من الجدل والتحدي.

لم يكن رحيل هاني استسلامًا للمرض لأن هاني لا يستسلم، فقد تحدى المرض ولم يتركه يقهر نفسه أو روحه لأنه آمن أن الإنسان يعيش كما يحب ولا يعيش فقط لكي يبقى، وهكذا فعل دومًا في كل ما كان يتصدى له من السياسة والصحافة سواء تلك الصادرة ورقياً أو إلكترونياً بالانجليزية أو بالعربية أو حتى عندما اختار أن يدنو من الصحافة الإقليمية في التجربة المتميزة لـ«أولاد البلد» التي اجتمع حوله فيها مجموعة من الشباب آمنوا مثله بأن هناك الكثير مما يحكى أو يقال عن جنات الوطن بعيدًا عن ضجيج العاصمة والسياسات الكبرى فيها.

دينا عزت، الشروق^٩

لو هتحي عن اللحظة دي، النهاردة... النهاردة ده ايه؟

انتِ خلي بالك الطبقة الحاكمة بتبص للشعب المصري ازاي، وده تاريخيًا مش من دلوقتي يعني. هم بيتعاملوا كأنهم مُحتل أجني، يعني هم نظرتهم للناس نظرة المُحتل الأجنبي، زيهم زي ما الإنجليز كانوا في مصر، وزى اليهود في فلسطين وكده يعني: "دول ناس زبالة." فتخلي حجم الصدمة بتاعت ناس معتبرة إنها هي أسياد والباقي عبيد إحساناتهم. ممكن يديهم رمضان وبتاع، يرأف عليهم يعني بين الحين والآخر، كده، لكن دول في الآخر زبالة يعني. واللي بيقوا في النص زي حالتنا كده عندهم قدرة على الحركة فوق وتحت، فبتشوفهم.

غير كمان جهاز الدولة، انتِ دولة في الآخر عسكرية وبوليسية طول عُمرها. يعني في عصر مبارك "خليهم يتسلوا" ومش عارف ايه ويسيلك شوية حاجات، بس هم الأسياد. فيلاقي نفسه بيتضرب بالصرمة القديمة، بيتشال الشيخ بتاعهم ويتهزأ ويبتسجن وكله بالجزمة القديمة. الناس اللي

^٩ دينا عزت، دينا عزت ترثي الصحفي الكبير: هاني شكر الله.. حياة ثرية ورحيل كريم، الشروق، ٦ مايو ٢٠١٩.

بتعتبريهم رعا وحثالة، بيجبروك على إن انت تشيلي الراجل وتهدليه، وهو يقعد وهو زي القرد اصلاً وقاعد مستموت وبيلعب في مناخيره ومرمي على البتاع. الجنرالات دول بيعتبروا نفسهم ربنا، يعني العسكري يشوف السيفين دول بترتعد فرائضه. فإنه يلاقي ناس بترسم له أكبر كبير فيهم بينوكيو بالمناخير، وعسكر كاذبون ومش عارف ايه، لا انت أهنتيهم. أهنتيهم ومرمعتي كرامتهم في الأرض، ورعيتهم كمان. هم كانوا خافين فعلاً.

وفعلًا أنا شفتها، لإن كمان انت بتشتغلي في الأهرام فانت قرية من القمم. ما حدش قادر يكلمني وأنا قاعد ماشي بالأهرام أون لاين ده بمزاجي، رغم إن في جيش هو اللي بيحكم البلد. فاترعبوا. أنا عندي عدددين من الأهرام يهلكوا من الضحك، عدد اللي هو طلع تاني يوم الجمل، اللي هو «مظاهرات شعبية في حب مبارك»، والعدد بتاع إستقالته «الشعب يسقط النظام». مانشيت جريدة الأهرام! ونفس رئيس التحرير ونفس طاقم التحرير. يعني تخيلي إن هو يلاقي نفسه مضطر إن هو يتنقل من دي ل دي، ده إحساس بالمهانة وبالرعب. فجزة في الموضوع انتقام وجزة في الموضوع إن هم حاسين ان ده يحصلش تاني، يعني حالفين ان ده ما يحصلش تاني، ففي شراسة.

وفي نفس الوقت الناس نفسها مصدومة، سجن وتعذيب وناس بتخش وما بتخرجش بالسنيين. انت لما تفتكري الحكايات بتاعت السجن على أيامنا -ورغم إن كان الناس بتضرب بردو أحيانًا- بس بتتكلمي عن أحوال تانية خالص، خالص، خالص، واختفاء قسري ومش عارف ايه، الحاجات دي كلها كانت لجماهير الفقراء، دلوقتي أي حد. والعشوائية كمان مخلية إن أي حد مُعرض لأنه يتسجن في أي لحظة. يعني كنت تبقي عارفة إن في خطوط حمراء في ناس بتقول لك أنا هرقها، هتخطاها شوية وأزق، وفي ناس بتلتزم وفي ناس بتجر لورا، أيًا كان، لكن عارفة ايه المحرمات. دلوقت مش عارفة، دلوقت مفيش فكرة. العشوائية نفسها هي اللي قد تكون مقصودة -بحيث إن هو يخلي في حالة رعب- وجزة منها ربما هو التضارب بتاع الأجهزة المختلفة، أن كل واحد بيشغل برأسه، مع كمان إن مفيش كدر. يعني مبارك كان عنده كدر، وكدر متربي في اتحاد اشتراكي يعني متربي في عصر سياسة، اه سياسة ديماجوجية ونصابة وبتاع بس في الآخر سياسة. دول شوية ضباط جهلة وما يعرفوش حاجة، ضباط أو تكنوقراط. انت بتتعامل مع حالة من جهل مُطبق، على رعب، على إنتقام من الإهانة اللي عملتها الثورة، على رعب من إنها تتكرر. فده اللي خالق الوضع اللي هو بيبقى فيه شراسة.

بس بقول لك أنا كل ما أقابل شباب من جيلكم، أو أكبر منكوا شوية أو أصغر منكوا شوية، أنا طول الوقت منبهر بموهبة، بناس بتفكر، ناس بتقرأ. مش عارف يعني. أنا مبحبش طبعًا اللي هم يقعدوا

يتنبأوا بالثورة، بلاقي ده سحف. وأنا فاكّر مرة كده ناس كتيرة من جيلي يقول لك أنا تنبأت بالثورة، كمال خليل تنبأ بالثورة، فأنا قلت لهم يعني لما واحد يقعد يقول لك نهاية العالم جاية (انت عارفة المجانين اللي تلاقيهم يمشوا في شوارع لندن ونيويورك؟) وبعدين يحصل إن في نيزك يبقى نبوءة؟ دائماً تغيظني أنا حكاية إن كمال خليل تنبأ بالثورة. أقول لهم يا اخوانا كمال خليل من سنة ٧١ وهو يقول الثورة بكرة! لما تيجي الثورة تحصل ما سمهاش نبوءة، يعني مع كل حي لكمال.

لكن أنا بقول لك show is not over، ماعتقدش يعني. هياخد قد ايه معرفش. هيحصل ازاي معرفش، لكن في حاجة... وفي الآخر يعني ممكن البشرية تكون بتنتحر، في الآخر خلاص يعني هنعمل ايه؟ معنديش أنا فكرة الحتمية التاريخية دي خالص يعني. ودايمًا أكرر عبارة روزا الشهيرة: الاشتراكية أو البربرية. يعني ممكن البشرية تختار البربرية. بس بقول لك في حاجة تديكي على الأقل احساس إن في حاجة جديدة ممكن تحصل. أنا كتير قوي أنهى حاجات لما بعمل فيها كده درجة من التنبؤ فقول والله أعلم عشان أحصن نفسي، أصلي اتغاض جدًا من اللي عندهم يقين.

فإذا بدونا لكثيرين من الأجيال السابقة أو اللاحقة «ملائكة ساقطين»، فما ذلك إلا لأنهم يصدقون في «ملائكتنا» -في نقاوة كيتشنا اليساري في الحقيقة- أكثر مما يجوز تصديقه في بشر. فالحالمون -في عصرنا على الأقل- لم يعودوا أناسًا مسبلي الجفون على نظرة سارحة (أوشك أنهم كانوا كذلك في أي عصر) وإنما هم أولئك الذين اخترقتهم كل الأحوال التي أثارها تمردهم. وخصوصية المأساة عند جيل خاض تجربة التمرد، هي أنه مهما كان مآل كل واحد من أبنائه -سواء سار في سكة السلامة: طريق التوبة، الإذعان لقوة الأمر الواقع، وحتى إعلان الكفر بكل قيم التمرد القديم، أو طريق الندامة: الانهيار، اعتزال الحياة، المرض النفسي- فإنه شاء أمر أبي لا يعود أبدًا نفس الشخص الذي كانه قبل أن تبليه غواية التمرد، لقد مسه سحر الحلم مرة، وستبقى تلاحقه دومًا ذكرى الخطيئة الجميلة -لحظة حرية، خفة لا تكاد تحتمل لفرط جمالها- تبقى مؤرقة كالضمير، وملهمة ككل لحظة مفعمة بالحياة والفاعلية، ومؤلمة.

أروى صالح

المبتسرون: دفاتر واحدة من جيل الحركة الطلابية

١٩٩٧